

شرح المنظومة الحائِية

في

عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

لِلْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشَّرْحُ

لِمَتِّ إِلَى الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

الدُّكْتُورِ صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّوْرَانِ

عَضُوِّ قِبْطَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَعَضُوِّ اللَّيْقَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِسْلَامِ

فَهْوَ أَعْلَمُ وَأَرْوَعُ وَشَهِيدُ السُّلُوكِ

اِسْتَشَارَ بِهِ دَعْمَتُهُ وَأَشْرَفَ عَلَى إِجْلَائِهِ

وَعَصَمَاهُمَا الْمُرِيَّةُ

سَادَاتُ الرَّفَائِحِ

بَارِئُ الْعَبَاسِيَّةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

شرح المنظومة الحائية
في

عقيدة أهل السنة والجماعة

ح مركز الدعوة والإرشاد بالرياض ، ١٤٢٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث

شرح المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة. أبو داود

سليمان بن الأشعث السجستاني، صالح بن فوزان الفوزان -

الرياض ١٤٢٦ هـ

٢٣٢ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٥-٠-٩٧١٨-٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد ٣- أبو داود السجستاني،

سليمان بن الأشعث أ- الفوزان، صالح بن فوزان (محقق) ب- العنوان

١٤٢٦/٧٣٧٧

ديوى: ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٢٦ / ٧٣٧٧
ردمك: ٥-٠-٩٧١٨-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة لمركز الدعوة والإرشاد بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

وزارة الثقافة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - البريد الإلكتروني ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

شرح المنظومة الحائِية فِي

عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

لِلإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ

المتوفى ٣١٦ هـ

- رحمه الله تعالى -

الشَّرْحُ

لِمُعَالِي الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

الدُّكْتُورِ صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

عَضْوِ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَعَضْوِ الْبَحْثَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِفْتَاءِ

اعْتَنَى بِهِ وَصَفَّقَهُ وَأَشْرَفَ عَلَى إِخْرَاجِهِ

عَادِلُ الرَّفَائِي وَعَصَامُ الْمُرِّي

دَارُ الْعَبَّاسِيَّةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين : فقد أؤتيت بطبختي للشفيع : عادل الرفاعي وعصام المري
طباعة كتابي : شرح المنظومة الحاشية في العقيدة للإمام أبي بكر
اسم أبي داود . رحمهما الله - رجاء النفع بهذا الشرح - وإله صلاتهم .
وعزى الله إلى أخوتي عادل وعصام غير الخبز اذ علم ما بذلوه من العناية
بإخراج هذا الشرح عن غير ما يرام . وصلى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه الشارح :

صالح بن محمد بن الفوزان

دمشق ١٤٤٢/١١/١٧

١٤٤٢/١١/١٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين. وبعد:
فهذا شرح:

المنظومة الحانية

للإمام

أبي بكر عبدالله بن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

رحمهما الله تعالى

وكان هذا الشرح يتكون من دروس ألقاها في المسجد فضيلة الشيخ:

الدكتور / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

في جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز بالرياض، ابتداءً من يوم الأحد الموافق
للخامس والعشرين من شهر محرم عام ستة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة
النبوية المباركة، نسأل الله -جل وعلا- أن ينفع به، وأن يجزي الماتن والشارح
خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

المَقَدِّمَاتُ التَّمْهِيْدِيَّةُ

وهي أربع مقدمات:

المقدمة الأولى: ترجمة ناظم الحائية.

المقدمة الثانية: ترجمة شارح الحائية.

المقدمة الثالثة: التعريف بالمنظومة الحائية.

المقدمة الرابعة: متن المنظومة الحائية.

المقدمة الأولى

تَرْجَمَةُ صَاحِبِ الْمَنْظُومَةِ الْحَائِيَّةِ

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

(ت: ٣١٦)

وفيه تسعة مباحث^(١):

المبحث الأول: اسمه، ونسبه وكنيته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: مشايخه.

المبحث الرابع: تلامذته.

المبحث الخامس: عقيدته.

(١) مصادر الترجمة: الفهرست لابن النديم: (ص ٢٣٢)، تاريخ أصبهان: (٢/ ٦٦)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٩/ ٤٦٤)، المنتظم لابن الجوزي: (٦/ ٢١٨)، الكامل لابن الأثير: (٦/ ٧٣٥)، تذكرة الحفاظ للذهبي: (٧/ ٧٦٧)، العبر له: (٢/ ١٦٤)، ميزان الاعتدال له: (٢/ ٤٣٣)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٢٢١)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (٢/ ٥١-٥٢)، طبقات ابن السكيتي: (٣/ ٣٠٧-٣٠٩)، طبقات القراء لابن الجزري: (١/ ٤٢٠)، لسان الميزان للحافظ ابن حجر: (٣/ ٢٩٣)، مرآة الجنان لليافعي: (٢/ ٢٦٩)، المقصد الأرشد لابن مفلح: (٢/ ٣٦-٣٤)، المنهج الأحمد للعليمي: (٢/ ١٤)، النجوم الزاهرة: (٣/ ٢٢٢)، طبقات المفسرين: (١/ ٢٣٦-٢٣٨)، شذرات الذهب: (٢/ ٢٧٣)، الأعلام: (٤/ ٩١). وأشار إليه ابن كثير في البداية إشارة (١١/ ١٦٩)، وترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤) في سياق ترجمة أبيه.

المبحث السادس: مذهبه الفقهيّ.

المبحث السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المبحث التاسع: وفاته.

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:

هو أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو ابن عمران، الأزديّ، السجستانيّ، المعروف بـ «ابن أبي داود».

المبحث الثاني: مولده ونشأته:

ولد بإقليم سجستان، سنة ثلاثين ومئتين.

قال أبو بكر ابن أبي داود: «أول ما كتبت سنة إحدى وأربعين عن محمد ابن أسلم الطوسي، وكان بطوس وكان رجلاً صالحاً، وشرّ بي أبي لما كتبت عنه، وقال لي: أول ما كتبت كتبت عن رجل صالح.

ورأيت جنازة إسحاق بن راهوية، ومات إسحاق سنة ثمان وثلاثين، وكنت مع ابنه في الكتاب».

وقد رحل به والده من سجستان فطوّف به شرقاً وغرباً. وأسمعه من علماء ذلك الوقت. فسمع بخراسان، وأصبهان، ونيسابور، والبصرة، وبغداد والكوفة، ومكة، والمدينة، والشام، ومصر، والجزيرة، والشور، واستوطن بغداد.

وكان ذا همة عالية منذ صغره في التحصيل والطلب، ومن دلائل هذه الهمة قوله رحمه الله - فيما رواه عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين - : قال سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: «دخلت الكوفة ومعني درهم واحد، فاشتريت به ثلاثين مد باقلاء، فكنت آكل منه مدّاً، وأكتب عن أبي سعيد وعثمان ألف حديث، فلما كان الشهر حصل معي ثلاثين ألف حديث، ما بين منقطع ومرسل».

وقوله: «حدثت من حفظي في أصبهان بستة وثلاثين ألف حديث، ألزمني فيها سبعة أحاديث، فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها على ما كتبت

حدثتهم به».

المبحث الثالث: مشايخه:

سمع الحديث عن جماعة، منهم:

أحمد بن الأزهر النسابوري.

وإسحاق بن إبراهيم النهشلي.

وإسحاق بن منصور الكوسج.

وأبو داود سليمان بن معبد السنجي.

وسلمة بن شبيب.

وعلي بن خشرم المروزي.

وعمر بن علي البصري.

ومحمد بن يحيى الذهلي.

ومحمد بن بشار بن دار.

ومحمد بن المثنى.

ومحمد بن عبدالله المخرمي.

ونصر بن علي البصري.

ويعقوب الدورقي.

ويوسف بن موسى القطان.

كما روى عن: زياد بن أيوب، وأحمد بن صالح، وأبي طاهر بن السرح،

ومحمد بن سلمة المرادي، ومحمد بن عبدالرحيم صاعقة، وخلق كثير.

المبحث الرابع: تلامذته:

روى عنه الحديث جماعةٌ من الأعلام، ومنهم:

أبو أحمد الحاكم.

وأبو بكر بن مجاهد المقرئ.

وأبو بكر الشافعي.

وأبو بكر محمد بن المظفر الوراق.

وأبو الحسين بن سمعون.

وأبو حفص عمر بن شاهين.

والإمام الدارقطني.

ودعلاج بن أحمد.

وأبو طاهر المخلص.

وعبدالرحمن بن أبي حاتم.

وأبو عمر بن حيويه.

وعبدالباقي بن قانع.

وأبو عبدالله بن بطة.

ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق.

وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب.

ونصف بن علي الوزير.

المبحث الخامس: عقيدته:

يُعد الإمام أبو بكر ابن أبي داود السجستاني من أئمة أهل السنة والجماعة، ومن المتبّعين للكتاب والسنة، وكان حنبليّ المذهب في الفروع، متبّعاً للإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة في الأصول.

وقد عدّه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- من أئمة السنة المثبتين لصفة العلو، وأثنى عليه، وذلك في نونيته المسمّاة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، في النوع السادس عشر من أنواع أدلة العلو الاستواء، فقال^(١):

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى حقاً أبي داود ذي العرفان
تصنيفه نظماً ونشراً واضح في السنة المثلى هما نجمان

ولابن أبي داود في تقرير عقيدته قصيدته الحائية المشهورة (موضع الشرح)، وقد ساقها جماعة من الأعلام في كتبهم العقديّة، كما ذكرها بعض من ترجم له في ترجمته، وعلى رأسهم: ابن أبي يعلى. كما أوردها الذهبي كاملةً في كتاب العلو^(٢)، وهي قصيدة في العقيدة وأصول الدين، حاثية الروي، تحتوي على أربعين بيتاً.

وقد جاء عنه أنه قال في تمام هذه القصيدة: «هذا قولِي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم ممن بلغنا قوله، فمن قال عليّ غير ذلك فقد كذب».

أما ما نُسب إليه من العداء لآل النبي ﷺ، المسمّى بالنصب فلم يثبت عنه -

(١) الكافية الشافية (ص ٦٥).

(٢) انظر: كتاب العلو (ص ١٥٣-١٥٤).

رحمه الله تعالى - شيءٌ من ذلك، بل ثبت عنه ضد ذلك ونقيضه، وهو ولاء آل البيت ومحبتهم والثناء عليهم وذكر فضائلهم ومآثرهم. بل لم يتحقق في ترجمته من الذي نسبته إلى النصب وما حجته على ذلك، إلا أن هذه التهمة التُصِّقت به في حياته رحمه الله وبرأ نفسه منها ولم يجعل من رماه به في حل.

قال أحمد بن يوسف بن الأزرق: «سمعت أبا بكر بن أبي داود غير مرقٍ يقول: كل من بيني وبينه شيء أو قال: كل من ذكرني بشيء فهو في حلٍ إلا من رمانى ببغض علي بن أبي طالب»^(١).

وخير شاهد ودليل على سلامته من هذه التهمة قصيدته هذه التي بين أيدينا^(٢)، والتي فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فقد قال بعد أن ذكر الخلفاء الثلاثة:

ورابعهم خير البرية بعدهم عَليّ حليف الخير بالخير منجح
المبحث السادس: مذهبه الفقهي:

المشهور أنه حنبلي المذهب، وقد عدّه أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل.

وترجم له الحنابلة في طبقاتهم، ومنهم: ابن أبي يعلى، وابن مفلح، والعلمي.

وعدّه بعض الشافعية منهم، وترجموا له في طبقاتهم، كما فعل: ابن السبكي.

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٩/٤٦٨).

(٢) وللشيخ المعلمي - رحمه الله تعالى - في التنكيل (١/٣٠٧-٣١٤) كلام قيم في تبرئة ابن أبي داود مما تُنسب إليه من النصب وغيره، أجاد فيه وأفاد رحمه الله تعالى.

المبحث السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين: «أملئ علينا ابنُ أبي داود ستين، وما رأيت بيده كتاباً، إنما كان يملئ حفظاً، فكان يقعد على المنبر بعدما كبر ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر، بيده كتاب فيقول حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتي على المجلس».

وقال الأزهري: سمعت أحمد بن إبراهيم بن شاذان يقول: «أخرج أبو بكر ابن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم، فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟! قال أبو بكر: فأثاروني، فأملت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي».

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «سألت الدارقطني عن أبي بكر بن أبي داود، فقال: ثقة».

وقال الحافظ أبو محمد الخلال: «كان ابن أبي داود إمام أهل العراق وقد نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو».

وقال الخطيب البغدادي: «كان فقيهاً عالماً حافظاً».

وقال ابن خلكان: «كان أبو بكر ابن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد، عالماً متفقاً إماماً».

وقال الذهبي: «وكان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه»، وقال أيضاً: «كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف

وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد».

وقال أيضاً: «والرجل من كبار علماء المسلمين ومن أوثق الحفاظ».

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة: «كان فهِماً عالماً حافظاً».

وقال ابن السبكي: «الحافظ ابن الحافظ، أحد الأجلّاء...».

وقال الداوودي: «كان فقيهاً عالماً حافظاً».

المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره العلمية:

- كتاب: «القصيدة الحائية في العقيدة»، (ط)، وهو محل الشرح في هذا

الكتاب.

- كتاب: «المسند».

- كتاب: «الناسخ والمنسوخ».

- كتاب: «التفسير».

- كتاب: «القرارات».

- كتاب: «المصاحف»، (ط).

- كتاب: «المصابيح»، في الحديث.

- كتاب: «نظم القرآن».

- كتاب: «فضائل القرآن».

- كتاب: «شريعة التفسير».

- كتاب: «شريعة المقارئ».

- كتاب: «البعث والنشور».

وذكروا من كتبه كتاب «السنن»، وذكروا أنه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه. وهو على هذا غير كتاب أبيه المعروف بسنن أبي داود.

المبحث التاسع: وفاته:

توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة وخلف ثمانية أولاد رحمه الله تعالى.

المُقدِّمةُ الثَّانِيَّةُ

ترجمةُ شارح الحائية

الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان

وفيها ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: مشايخه.

المبحث الرابع: تلامذته.

المبحث الخامس: مكانته العلمية والاجتماعية.

المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ونسبته:

صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان. من أهل الشماسية، من قبيلة الدواسر.

المبحث الثاني: مولده ونشأته زماناً ومكاناً:

ولد الشيخ -حفظه الله تعالى- عام: (١٣٥٤)، في مدينة الشماسية في منطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية.

وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته.

وتعلم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ حمود بن سليمان التلال -رحمه الله تعالى-، وهو إمام مسجد البلدة، وكان قارئاً متقناً، وتولى القضاء في بلدة ضرية في منطقة القصيم.

وقد درس الشيخ الدراسة الأولية (الابتدائية) في بلده بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشماسية، عام: (١٣٦٩هـ). ثم أكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام: (١٣٧١هـ).

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحها، عام: (١٣٧٣هـ)، وتخرج منه عام: (١٣٧٧هـ).

ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض، وتخرج منها عام: (١٣٨١هـ).

ثم نال شهادة الماجستير في الفقه، عام: (١٣٩٧هـ) بأطروحته التي كانت بعنوان: «أهم المسائل الخلافية في المباحث الفرضية»، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، وقد طُبِعَ الكتاب باسم: «التَّحْقِيقَاتُ المَرْضِيَّةُ في المباحثِ الفرضيَّةِ». وكان المشرفُ عليه شيخه الشيخ العلامة: عبدالرزاق عفيفي رحمه الله تعالى.

ثم حصل على درجة الدكتوراه، عام: (١٣٩٩هـ) من نفس الكلية، في موضوع: «أحكام الأطعمة: جلاً وحرمة، واستدلالاً وترجيحاً»، وقد طُبِعَ باسم: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية».

المبحث الثالث: مشايخه:

تلقى العلم على يد جماعة من أنبل علماء العصر، ومنهم:

١- الشيخ العلامة المفتي والقاضي: عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حميد، (ت: ١٤٠٢هـ)، وكان يحضر دروسه في جامع بريدة.

٢- الشيخ العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز، مفتي الديار السعودية في وقته، (ت: ١٤٢٠هـ)، رحمه الله تعالى.

٣- الشيخ العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، (ت: ١٣٩٣هـ)، رحمه الله تعالى.

٤- الشيخ العلامة: عبدالرزاق عفيفي، (ت: ١٤١٥هـ)، رحمه الله تعالى.

٥- الشيخ: صالح بن عبدالرحمن بن إبراهيم السكيتي، (ت: ١٤٠٤هـ)، رحمه الله تعالى.

٦- الشيخ: صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي، (ت: ١٤١٠هـ)، رحمه الله تعالى.

٧- الشيخ: عبدالله بن صالح بن عبدالرحمن الخلفي، (ت: ١٣٨١هـ)، رحمه الله تعالى.

٨- الشيخ: إبراهيم بن عبيد بن عبدالمحسن، (ت: ١٤٢٦هـ)، رحمه الله تعالى.

٩- الشيخ: حمود العقلا، (ت: ١٤٢٢هـ)، رحمه الله تعالى.

١٠- الشيخ: صالح بن علي بن سليمان الناصر، (ت: ١٤٠٦هـ)، رحمه الله تعالى.

كما تتلمذ الشيخ وأخذ العلم على عدد من شيوخ الأزهر الوافدين للتدريس في كلية الشريعة في جامعة الإمام.
المبحث الرابع: تلامذته:

تلقى عنه العلم جماعة من أنبل وأشهر العلماء وطلاب العلم في العصر الحاضر، منهم أساتذة في الجامعة وقضاة وأئمة مساجد منتشرون هنا وهناك لنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الخامس: مكانته العلمية والاجتماعية:

- عمل مدرساً في مدرسة بلدته الشماسية.
- ثم مدرساً في المعهد العلمي ببريدة.
- ثم مدرساً في كلية الشريعة بالرياض.
- ثم مدرساً في كلية أصول الدين.
- ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء وأستاذاً فيه.
- ثم عضواً في اللجنة الدائمة العلمية والإفتاء. وعضواً في هيئة كبار العلماء، وما يزال في المنصبين.

وشارك في العديد من مؤتمرات: رابطة الشباب المسلم العربي، والشباب الإسلامي في غرب إفريقيا، والدعوة الإسلامية، ورسالة المسجد، وعُيِّن عضواً في لجنة الإشراف على توجيه الدعاة في الحج، ولجنة مراجعة مؤلفات مقرر

العقيدة للثانوي المطور، إضافة إلى مشاركته المتعددة في الصحف والإذاعة والمحاضرات العامة.

المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية:

- كتاب: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد»، مجلد.

- كتاب: «الملخص الفقهي»، مجلدان.

- كتاب: «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام».

- كتاب: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية»، مجلد، (وهو رسالة الدكتوراه).

- كتاب: «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية»، مجلد، (وهو رسالة الماجستير).

- كتاب: «الإرشاد إلى توضيح مسائل الزاد»، حاشية على زاد المستنقع.

- كتاب: «إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان».

- كتاب: «الاجتهاد».

- كتاب: «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل».

- كتاب: «بيان ما يفعله الحاج والمعتمر وتنبهات على أخطاء يرتكبها بعض

الحجاج».

- كتاب: «البيان فيما أخطأ فيه بعض الكتّاب»، مجلد.

- كتاب: «تعقيبات على كتاب «السلفية ليست مذهباً».

- كتاب: «التعقيب على ما ذكره الخطيب» في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- كتاب: «التعليق المختصر المفيد على كتاب التوحيد».
- كتاب: «تنبيهات على أحكام تخص المؤمنين».
- كتاب: «التوحيد»، ويقع في جزئين، وهو مقرر في مرحلة الثانوية بوزارة التربية والتعليم في المملكة.
- كتاب: «رد أوهام أبو زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب».
- كتاب: «رسائل في مواضيع مختلفة».
- كتاب: «الرد على الشيخ السيابي في تعقيبه على فتوى شيخنا عبدالعزيز ابن باز».
- كتاب: «الزكاة الشرعية وأحكامها وحكم تناول الميتة».
- كتاب: «الزكاة الشرعية وحكم اللحوم المستوردة».
- كتاب: «الشباب دوره ومشكلاته».
- كتاب: «شرح العقيدة الواسطية».
- كتاب: «إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب. مجلدان.
- كتاب: «الضيء اللامع من الأحاديث القدسية الجوامع».
- كتاب: «فتاوى ومقالات»: نشرت في مجلة الدعوة.

- كتاب: «الفرق بين البيع والربا في الشريعة الإسلامية».
- كتاب: «الفقه الأكبر».
- كتاب: «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية»، في أربعة مجلدات.
- كتاب: «كيفية تغسيل الميت وتكفينه».
- كتاب: «لمحة عن الفرق الضالة».
- كتاب: «مجموع فتاوى في العقيدة والفقه»، مفرغة من البرنامج الإذاعي في إذاعة القرآن الكريم «نور على الدرب»، وقد أنجز منه أربعة أجزاء.
- كتاب: «مجموعة رسائل وفتاوى»، (مشارك).
- كتاب: «مختصر أحكام الجنائز».
- كتاب: «محاضرات في العقيدة والدعوة»، (صدر منه ٣ مجلدات).
- كتاب: «معنى (لا إله إلا الله) ومقتضاها وآثارها في الفرد المجتمع».
- كتاب: «من مشاهير المجددين في الإسلام».
- كتاب: «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان».
- كتاب: «الولاء والبراء في الإسلام».
- وللشيخ العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

المقدمة الثالثة

التعريف بالمنظومة الحائية

وفيها عشرة مباحث:

المبحث الأول: معلومات عامة عن المنظومة.

المبحث الثاني: اسمها.

المبحث الثالث: تقرير نسبتها للناظم.

المبحث الرابع: مخطوطاتها.

المبحث الخامس: مطبوعاتها.

المبحث السادس: أسانيد رواياتها.

المبحث السابع: شروحها.

المبحث الثامن: مكانتها عند العلماء.

المبحث التاسع: الناقلون عنها.

المبحث العاشر: موضوعها.

المبحث الأول: معلومات عامة عن المنظومة:

هي قصيدة في العقيدة وأصول الدين.

حائية الروي: ينتهي كل بيت منها بحرف الحاء.

تحتوي على بضع وثلاثين أو أربعين بيتاً.

مطلعها:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِذُعْبٍ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَنْتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

إلى أن قال:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيَتْ وَتُضْبِحُ

عدد أبيات المنظومة:

وقد اختلفت الروايات والنسخ والطبعات في عدد أبيات المنظومة الحائية،

وهي على النحو التالي:

الأول: أنها تقع في (٣٣) بيتاً، وهذا عدد أبياتها في أكثر المصادر.

وهو الذي رواها به رواة الحائية، ومنهم: الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد ابن شاهين، والإمام أبو بكر بن محمد بن الحسين الأجري، وعبيدالله الفقيه الحنبلي، والشيخ أبو بكر أحمد بن إبراهيم، وغيرهم.

وعليه مشى الشيخ د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر، حفظه الله تعالى، في شرحه للمنظومة.

الثاني: أنها تقع في (٣٦) بيتاً، وقد ذكر العلامة السفاريني في شرحه للمنظومة (٢/ ١٠٥-١٠٦): أن ابن البناء الحنبلي زاد عليها ثلاثة أبيات وهي

الرواية التي اعتمدها الشارح.

الثالث: أنها تقع في أربعين بيتاً، كما في شرح السنة لابن شاهين (ص ٣٥٣).

وقد ذكر بعضهم أن هذه الأبيات الزائدة من بعض الرواة.

وعليه مشى الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر البراك، حفظه الله تعالى، في شرحه للمنظومة.

وكذا الشارح الشيخ صالح بن فوزان، في شرحه هذا.

قال الشيخ د. عبدالرزاق بدر، حفظه الله تعالى بعد ذكر رواتها: «ولم يزد جميع هؤلاء فيما ذكره من أبيات هذه المنظومة على ثلاثة وثلاثين بيتاً.

وقد جاء في آخر كتاب السنة لابن شاهين بعد نهاية الكتاب -وهو من لحق بعض النسخ- إيذاناً لهذه المنظومة، مع زيادة سبعة أبيات بعد الأبيات المتعلقة بالعشرة المبشرين بالجنة، فأصبح مجموع أبيات المنظومة بهذه الزيادة أربعين بيتاً^(١).

والأبيات المزيدة هي:

وَسَبْطِي رَسُولِ اللَّهِ وَأَبْنِي خَدِيجَةَ	وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النِّقَاءِ تَبَحَّبُحُوا
وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالَتُنَا	مُعَاوِيَةُ، أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ ائْتَحُ
وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ	بِنَصْرَتِهِمْ عَنِ كَيْبَةِ النَّارِ رُحِزُوا
وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا خِذ	وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا
وَمَالِكُ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمْ	أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ

(١) الكتاب اللطيف لشرح مذهب أهل السنة (ص ٢٥٥).

وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالْشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
إِمَامَا هُدَى مَنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ يَنْصَحُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
فَأُحْبِبُّهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ

ولا شك في أن هذه الأبيات المزيدة ليست لابن أبي داود رحمه الله؛ إذ جميع من روى القصيدة من تلاميذه لم يذكروا هذه الزيادة، ومن بينهم ابن شاهين رحمه الله، كما تقدم في رواية الذهبي للمنظومة من طريقه وليس فيها هذه الزيادة، مما يدل على أنها زيدت في القصيدة بعد.

ثم وجدت أن ثلاثة من هذه الأبيات قد زادها ابن البناء رحمه الله، كما نبه على ذلك السفاريني في شرحه لهذه المنظومة، قال رحمه الله في كتابه «لوائح الأنوار السنية»^(١): «هذه الثلاثة أبيات وأولها قوله:

وعائش أم المؤمنين...

وثانيها: وأنصاره والمهاجرون ديارهم...

وثالثها: ومن بعدهم فالتابعون...

ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر ابن أبي داود، بل من كلام العلامة المحقق ابن البناء من أئمة علمائنا.

ثم قال الشيخ عبدالرزاق: وعلى هذا فتبقى أربعة أبيات مزيدة على النظم ولا يدرى من زادها، لكننا نقطع أنها ليست لابن أبي داود رحمه الله تعالى، ولا تصح نسبتها إليه.

أما معاني هذه الأبيات فلا شك في حسنها وأهميتها، على ضعف تراكيبها وأوزانها، حتى أن القارئ لها ليدرك بمجرد قراءتها أنها مقحمة مزيدة.

(١) لوائح الأنوار السنية: (٢/١٠٥).

المبحث الثاني: اسم المنظومة:

يقال لها:

١ - الحائية، نسبة للروي المنتهية به كل أبياتها.

٢ - القصيدة الحائية.

٣ - المنظومة الحائية.

والتعبير عنها بالمنظومة أدق من مصطلح القصيدة؛ لأن القصيدة في الغالب للشعر الأدبي ونحوه.

أما الشعر في العلم فجرى الاصطلاح أنه يُطلق عليه لفظ «المنظومة».

المبحث الثالث: تقرير نسبة المنظومة الحائية للناظم:

نسبها له جماعة من المترجمين الذين ترجموا له، ومنهم:

١ - ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة.

٢ - والذهبي في السير.

قال الذهبي رحمه الله في كتاب العلو: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها،

رواها الآجري، وصنف لها شرحاً، وأبو عبدالله ابن بطة في الإبانة».

المبحث الرابع: مخطوطات المنظومة الحائية:

توجد للمنظومة الحائية عدة مخطوطات في مكتبات متفرقة في أنحاء العالم،

ومن ذلك:

المخطوطة الأولى: مخطوطة دار الكتب الظاهرية، بدمشق.

تقع في ثلاث ورقات، ضمن مجموعة رقم: (٢٩٦١، عام)، (٧٤-٧٦).

كتبت سنة: (٧٥٣هـ).

المخطوطة الثانية: مخطوطة دار الكتب القطرية، بالدوحة.

تقع في ورقتين.

ضمن مجموع رقم: (١٠١٩)، (٥-٦).

المبحث الخامس: مطبوعات المنظومة الحائية:

لم تُفرد المنظومة الحائية بالطبع في كتاب مستقل؛ لكونها صغيرة الحجم في نحو صفحتين، ومثل هذا المقدار لا يُناسب إفراده بالطبع، بل يُطبع ضمن كتاب أو شرح، وهو ما عليه حال مطبوعات الحائية.

- فقد طُبعت ضمن مجموعة من الكتب العقدية التي أوردتها كاملة، ومن ذلك: كتاب: «العلو للعلي الغفار»، للحافظ الذهبي (ص ١٥٣-١٥٤).

كما أنها طُبعت محققة ضمن: «مجلة المحكمة»^(١).

المبحث السادس: أسانيد المنظومة الحائية ورواتها:

ممن رواها من العلماء:

١- الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، البغدادي، المحدث الراعظ (ت: ٣٨٥هـ).

قال الذهبي -رحمه الله تعالى-^(٢): أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد، قال: أنشدنا الإمام أبو محمد بن قدامة، سنة ثمان عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي الوقاياتي، أخبرنا علي بن بيان، أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري،

(١) العدد (١٢)، بتحقيق هاني بن جبير.

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (٢٣٣/١٣)، «العلو للعلي الغفار»، (ص ١٥٣-١٥٤).

حدثنا أبو حفص بن شاهين، أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود لنفسه هذه القصيدة.

٢- الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت: ٣٦٠هـ):

قال -رحمه الله تعالى-: أملئ علينا أبو بكر ابن أبي داود في مسجد الرصافة، في يوم الجمعة، لخمسٍ بقين من شعبان سنة تسع وثلاثمائة.

٣- عبيد الله الفقيه:

قال ابن أبي يعلى -رحمه الله تعالى- في طبقات الحنابلة^(١): أنبأنا علي المحدث عن عبيد الله الفقيه، قال: أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود من حفظه لنفسه.

٤- أبو بكر أحمد بن إبراهيم:

قال أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي -رحمه الله تعالى-^(٢): قرأت على أبي الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن بدمشق، عن أبي العز أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن كادش السلمي العكبري، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري، قال: أنشدنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم، قال: أنشدنا أبو بكر بن عبد الله بن سليمان بن الأشعث لنفسه في السنة رحمه الله.

وممن رواها بسنده كذلك:

١- أبو عبد الله ابن بطة.

٢- ابن شاذان.

٣- والحافظ الذهبي، من طريق أبي حفص ابن شاهين، وتقدم سياق إسناده.

(١) «طبقات الحنابلة»: (٢/ ٥٣).

(٢) «الحدائق الغناء»: (ص ١٧٦).

وكذا ممن أوردها ضمن كتابه في العقيدة:

الشيخ: علي بن إبراهيم العطار، (ت: ٧٢٤)، في كتابه: «الاعتقاد الخالص من الشك والارتياب».

المبحث السابع: شروح المنظومة الحائية:

شرح المنظومة الحائية عدد من العلماء قديماً وحديثاً، ومن ذلك:

١- شرح الآجري، قال الذهبي رحمه الله في كتاب العلو: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري، وصنف لها شرحاً».

٢- شرح ابن البناء الحنبلي^(١).

٣- شرح: «لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية» شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية، تأليف الإمام السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم، أبو عبدالله، النابلسي، الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ).

مطبوع في مجلدين، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض.

دراسة وتحقيق: عبدالله بن محمد بن سليمان البصري، نال بها درجة الدكتوراه، مع مرتبة الشرف الأولى، عام (١٤١٢هـ).

وهو شرح عظيم، إلا أنه تؤخذ عليه بعض المآخذ.

٤- شرح: «التحفة السنية شرح قصيدة أبي داود الحائية»، للشيخ محمد ابن يوسف بن عيسى أطفيش، (ت: ١٣٣٢هـ).

٥- شرح: «التحفة السنية شرح قصيدة أبي داود الحائية»، للشيخ د.

(١) ذكر ذلك ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة: (٣٥ / ١).

عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر.

وأصله دروس ألقاها الشيخ في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام (١٤١٧هـ)، كتبها عنه أحد طلاب العلم، ثم قام الشيخ بمراجعته والإضافة عليه وتنقيحه، وطبعت، وتوجد نسخ كثيرة منها على مواقع المكتبات الإلكترونية في شبكة المعلومات (الانترنت).

٦- شرح الشيخ سعود الشريم إمام الحرم المكي، ومن ميزات ما يتعلق بضبط المتن، والاهتمام بالعروض.

كما قام بشرحها وتدريسها جماعة من علماء العصر في دروسهم العلمية.

المبحث الثامن: مكانة المنظومة الحائية عند العلماء:

للمنظومة الحائية مكانة عالية ومنزلة سامية عند علماء أهل السنة والجماعة على مر العصور وتعاقب الدهور.

وقد تجلّى اهتمام العلماء بها وعنايتهم بشأنها في عدة صور، ومنها:

١- روايتها.

٢- إيرادها في كتبهم العقدية.

٣- النقل عنها.

٤- الثناء عليها.

ومن ذلك قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية^(١):

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى حقاً أبى داود ذي العرفان

(١) الكافية الشافية (ص ٦٥).

تصنيفه نظماً ونشراً واضح في السنة المثلى هما نجمان
ومما قال فيها الشيخ د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر في مقدمة
شرحه لها: «القصيدة السنية والمنظومة البهية... وهي منظومة شائعة الذكر، رفيعة
الشأن، عذبة الألفاظ، سهلة الحفظ، لها مكانة عالية ومنزلة رفيعة عند أهل العلم
في قديم الزمان وحديثه، تواتر نقلها عن ابن أبي داود رحمه الله، فقد رواها عنه
غير واحد من أهل العلم كالآجري، وابن بطة، وابن شاهين، وغيرهم، وثلاثتهم
من تلاميذ النازم، وتناولها غير واحد من أهل العلم بالشرح... وهي منظومة
عظيمة في تقرير المعتقد الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة تدل على
مكانة ناظمها وسعة باعه، وحسن معتقده وطيب نصحه».

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، (حفظه الله تعالى)، في شرحه
للمنظومة:

«منظومة العلامة الحافظ ابن أبي داود، وهو أبو بكر عبدالله بن سليمان بن
أبي داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن...، ومن آثاره هذه المنظومة
المشهورة التي اشتهرت عند المؤرخين للأعلام، فهي مشهورة عند أهل العلم،
هذه المنظومة المشهورة بالحائية، حاثية أو منظومة ابن أبي داود، ولعلها
-يعني- إن لم تكن أول نظم في العقيدة فلا شك أنها من أول ما نسج على هذا
المنوال، فإن أهل العلم لما قامت حركة التأليف وحركة الجهاد باللسان والرد
على المبتدعين ألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة ومعظمها -يعني- بذكر الأدلة
وجمع الأدلة، كلها مؤلفات يعني على سبيل يعني بالشر...

وهذه المنظومة التي نحن بصددنا محدودة الأبيات قليلة، غايتها ما أثبت

عندكم، أكثر ما وجد هي هذه المجموعة، أربعون بيتاً تقريباً، ولكنها تضمنت يعني تأصيلاً وتضمنت بيان معتقد أهل السنة لعله في أهم المسائل، ولا بد أن يكون ذلك على وجه الإجمال مع هذا الاختصار لا يمكن إلا أن يكون على وجه الإجمال».

المقدمة الرابعة

متن المنظومة الحائية

- ١- تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
- ٢- وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
- ٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا
- ٤- وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا
- ٥- وَلَا تُقِلْ الْقُرْآنَ خَلْقًا قِرَاءَةً
- ٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً
- ٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
- ٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
- ٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
- ١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ
- ١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
- ١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
- ١٣- يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى عَافِرًا
- وَلَا تَكُ بِذَعِيٍّ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
- أَنْتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ
- بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
- كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْنِهِمْ وَأَسْجَحُوا
- فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوَضِّحُ
- كَمَا الْبَذَرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
- وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
- بِمُضْداقِ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَرِّحُ
- فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجِحُ
- وَكَلِّتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَعُ
- بِلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
- فَتَفْرُجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
- وَمُسْتَمْنَحُ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ

- ١٤- رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
وَزِيرَاهُ قَدِمَا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَزْجَحُ
عَلِيٍّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ
عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرُحُ
وَعَامِرُ فَهْرِ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ
وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
وَفِي الْفَتْحِ أَيُّ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النُّقَاءِ تَبْخِجُوا
مُعَاوِيَةَ، أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ امْنَحُ
بِنَصْرَتِهِمْ عَنِ كَيْدِ النَّارِ رُحْزُحُوا
وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَافْلَحُوا
أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ
إِمَامًا هُدَى مَنْ يَنْبَغِ الْحَقُّ يَنْصَحُ
فَأَخِيهِمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ
دَعَاةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفِيحُ
وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْقَحْمِ تُنْطَرَحُ
- ١٥- وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
١٧- وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ
١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ
١٩- وَقُلْ خَيْرُ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
٢١- وَسَبَّطَى رَسُولُ اللَّهِ وَابْنِي خَدِيجَةَ
٢٢- وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالِنَا
٢٣- وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ
٢٤- وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا خَذَ
٢٥- وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمْ
٢٦- وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَالْشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
٢٧- أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
٢٨- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَتَقِنُ فَإِنَّهُ
٢٩- وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
٣٠- وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ

- ٣١- عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ نَحْيًا بِمَائِهِ
كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
- ٣٢- وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ
وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ
- ٣٣- وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا
فَكُلُّهُمْ يُعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
- ٣٤- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ
مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
- ٣٥- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبَاءِ بَدِينِهِ
أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرَحُ
- ٣٦- وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحٌ
- ٣٧- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
- ٣٨- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ
فَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
- ٣٩- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ
فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَفْدَحُ
- ٤٠- إِذَا مَا اغْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبَيَّنْتُ وَتُضِيحُ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذا شرح لمنظومة أبي بكر بن أبي داود السجستاني - رحمه الله تعالى - وهي تتضمن عقيدته وما كان عليه، وأنه متبع للسلف في ذلك وقد كان المسلمون في الصدر الأول - عصر الصحابة ومن بعدهم من القرون المفضلة - يعتقدون ما جاء في القرآن وفي السنة من غير تردد أو شك؛ لأنهم آمنوا بالله ورَسُولِهِ ﷺ، إيماناً صادقاً قوياً، فاعتقدوا ما جاء في كتاب الله وسنة رَسُولِهِ ﷺ آمنوا بكل ما اشتمل عليه القرآن واشتملت عليه السنة من جميع أمور الدين، فإنهم يؤمنون بها، ولا يشكون في ذلك سواء كان في العقائد، أو العبادات أو المعاملات، أو الآداب، أو الأخلاق، أو في الأحكام الشرعية كالحلال والحرام، ما كانوا يتوقفون في شيء من ذلك؛ لأن هذا مقتضى الإيمان، وهم آمنوا حقاً وصدقاً، فلا يترددون فيما ثبت في كتاب الله وسنة رَسُولِهِ ﷺ في أي موضوع كان، ولا في أخباره الماضية والمستقبلية، لا يستثنون شيئاً مما جاء في الكتاب والسنة بل يؤمنون به إيماناً جازماً لا يعتريه شك، لأن هذا هو مقتضى الإيمان.

ثم ظهرت الفرق الضالة في أواخر عهد الصحابة؛ كفرقة الخوارج، وفرقة الشيعة، وفرقة المرجئة، وفرقة القدرية، ظهرت هذه الفرق، وكان أصحابها يتكتمون في القرون المفضلة، ولا يظهر هؤلاء المخالفات، وكل من أظهر شيئاً

منها فإنه يُؤَخَذُ على يده ويُمنع من ذلك، وإن وَصَلَ به الأمرُ إلى الردّة فإنه يُقْتَلُ؛
حِمايةً لهذا الدين من أن يعبثَ به هؤلاء العابثون.

فلَمَّا انقَضَت القرونُ المفضَّلةُ ودخلتِ الثقافاتُ الأجنبيّةُ في بلادِ المسلمين؛
كثقافةِ الرُّومِ، وثقافةِ الفُرسِ، حَصَلَ شيءٌ من الخللِ، ونَشِطَ دُعاةُ الضلالِ في
ترويحِ هذه الأفكارِ المنحرفةِ، فعندَ ذلك نَشِطَ أهلُ العلمِ في بيانِ عقيدةِ أهلِ
السنةِ والجماعةِ التي كانَ عليها صحابةُ رسولِ الله ﷺ، وعليها التابعون وأتباعُ
التابعين، فحرَّروها ودوَّنوها في كُتبٍ سمَّوها: الإيمان، أو الشريعة، أو السنة، أو
التوحيد - وردُّوا فيها على المُخالفين، فصارَ هذا من لُطفِ الله بهذه الأمةِ لِيَقَى
دينُها، فإن الله يقيِّضُ لهذا الدِّينِ حُماةً في كلِّ زمانٍ يحفظونه.

قال الإمامُ أحمدُ -رحمهُ الله تعالى-^(١): «الحمدُ لله الذي جَعَلَ في كُلِّ زَمَانٍ
فترةً من الرُّسلِ بقايا من أهلِ العلمِ: يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إلى الهدى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ
عَلَى الْأَذَى، يُخَيِّونَ بكتابِ الله المَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ الله أَهْلَ الْعَمَى - فكم من
قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قد أُخِيوهُ، وكم من ضالٍّ تائِهٍ قد هَدَوهُ، فما أَحَسَّنَ أَثَرَهُمْ عَلَى
النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

ينفون عن كتابِ الله تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين؛
الذين عَقَدُوا أُلُويَةَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عِقَالَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ،
مُخَالَفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ وَفِي اللَّهِ وَفِي
كِتَابِ اللَّهِ بغيرِ علمٍ، يتكلمون بالمتشابهِ من الكلامِ، ويخدعونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ٨٥)، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط (٢)، عام

(١٤٠٢)، دار اللواء، الرياض، السعودية.

يُسَبِّهونَ عَلَيْهِمْ - فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنِ الصَّالِّينَ ١. هـ.

ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَوَارَثُوا هَذِهِ الْكُتُبَ، وَاسْتَخْلَصُوا مِنْهَا كُتُبَ الْعَقَائِدِ، وَتَدَاوَلُوا مَا أَلْفَهُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ، فَوُجِدَتْ كُتُبُ الْعَقِيدَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ جَمِيعَ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ وَمَا عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ اعْتَنَوْا بِمُتُونِ الْعَقِيدَةِ وَنَظَّمُوهَا؛ لِأَنَّ النَّظْمَ أَحْفُ عَلَى النَّفْسِ وَأَسْرَعُ فِي الْحِفْظِ، وَأَبْقَى فِي الذَّاكِرَةِ، فَنَظَّمُوا هَذِهِ الْمُتُونَ فِي الْعَقَائِدِ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا، وَهِيَ: «حَائِثَةُ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ».

وُسَمِّيتِ «الْحَائِثَةُ»: لِأَنَّهَا عَلَى رَوِيِّ الْحَاءِ، مِثْلُ الْمِيمِيَّةِ لِابْنِ الْقِيمِ، وَالنُّونِيَّةِ لَهُ؛ لِأَنَّهُمَا عَلَى رَوِيِّ النُّونِ أَوِ الْمِيمِ، فَالنَّظْمُ إِذَا كَانَ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِاسْمِ هَذِهِ الْقَافِيَةِ، كَأَن يَكُونَ عَلَى الْحَاءِ، أَوِ الْمِيمِ، أَوِ النُّونِ، فَيُقَالُ: الْحَائِثَةُ، أَوِ الْمِيمِيَّةُ، أَوِ النُّونِيَّةُ، وَهَكَذَا.

أَمَّا إِذَا كَانَ النَّظْمُ لَيْسَ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالرَّجَزِ، فَهَذَا يُسَمَّى بِالْمَنْظُومَةِ، أَوِ الْأَرْجُوزَةِ، مِثْلُ مَنْظُومَةِ السَّفَّارِينِيِّ، وَمَنْظُومَةِ الرَّحْبِيَّةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَمِثْلُ نَظْمِ ابْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ لِـ «الْمُقْنِعِ» فِي الْفَقْهِ، وَنَظْمِهِ لـ «الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ».

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ النَّظْمَ جَيِّدٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْهُلُ حِفْظُهُ فَيَبْقَى، وَلِأَنَّهُ يُنَظَّمُ الْمَعْلُومَاتِ، وَإِنْ كَانَ التَّشْرِهُوُ الْأَصْلُ، وَلَكِنَّ النَّظْمَ - أَيْضاً - لَهُ فَائِدَتُهُ فِي تَثْبِيتِ الْمَعْلُومَاتِ - وَمِنْهُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الْجَيِّدَةُ: الْقَصِيدَةُ الْحَائِثَةُ لِأَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ.

التعريف بمؤلف الكتاب:

وَأَبُو بَكْرٍ: هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ (سُلَيْمَانَ) بْنِ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيِّ.

ووالدُه: أبو دَاوُدَ هو: سليمانُ بنُ الأشعثِ، وهو صاحبُ السننِ، التي هي إحدى السننِ الأربعة من دواوينِ السُّنَّةِ المُهمَّةِ، وهو من أصحابِ الإمامِ أحمدَ وتلاميذه، وله مسائلُ مطبوعةٌ، رواها عن الإمامِ أحمدَ اسمُها «مسائلُ أبي دَاوُدَ».

وابنُه هذا هو: النَّاظِمُ عبدُالله؛ ويكنى أبا بَكْرٍ، وهو إمامٌ جليلٌ، أخذَ عن أبيه، وعن غيره من علماءِ وقته، وتبحَّرَ في العِلْمِ والروايةِ وحَدَّثَ. وله مقامٌ عَظِيمٌ في العِلْمِ، لا يقلُّ عن مقامِ أبيه أو يُقَارِبُ مقامَ أبيه -رحمهما الله تعالى- فجاءتْ هذه القصيدةُ مُتَضَمِّنَةً لِعَقِيدَةِ السَّلَفِ.

[التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ^(١)]

١ - تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهَدْيَ

وَلَا تَكُ بِذَعِيٍّ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

الشرح:

بَدَأَ النَّاطِقُ - رحمه الله تعالى - نَظْمَهُ بِقَوْلِهِ: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ): أَي: تَمَسَّكَ
- أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - بِحَبْلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ:
«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِذَعَةٍ، وَكُلُّ بِذَعَةٍ ضَلَالَةٌ» ^(٢).

فهذا البيت مأخوذ من القرآن والسنة، وهو الأمر بالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَحَبْلُ
اللَّهِ هُوَ: الْقُرْآنُ وَسُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى نَقُولُ: حَبْلُ اللَّهِ هُوَ وَحْيُهُ الَّذِي
أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، سِوَاءَ كَانَ قُرْآنًا أَوْ سُنَّةً.

(١) العناوين التي بين معكوفين [] ليست من أصل الكتاب المتن، وليست من صنع صاحب المنظومة، وإنما أوردت للتوضيح.

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢-٤٣)، وأحمد (١٢٦/٤، ١٢٧)، والدارمي (٩٥) البغا، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٧/١، ٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٦١٧، ٦٢٤)، والحاكم في «المستدرک» (٩٥/١) من حديث العرياض ابن سارية رضي الله عنه.

وقوله: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ): يعني: اعتصم به، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ بِحَبْلِ اللَّهِ ﴿وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ»^(١)، هذه الثلاث منها الاعتصام بحبل الله؛ لأنه يقي من الافتراق والاختلاف، فلا يحصل الاختلاف والافتراق إلا بسبب عدم التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ كافتراق أهل الكتاب، مع أن الله أنزل عليهم التوراة والإنجيل، ولكن لما لم يعتصموا بحبل الله تفرقوا واختلّفوا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، هذه طريقة أهل الكتاب أنهم تركوا كتاب ربهم تفرقوا.

وهذه نتيجة حتمية لكل من لا يأخذ دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن النتيجة الاختلاف والتفرق، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [٥٢] فَنَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [٥٣] [المؤمنون: ٥٢، ٥٣]، كل أخذ له مذهباً ومنهجاً يخالف به غيره، فحصلت فتن عظيمة، وشروخ كثيرة لا عاصم منها إلا بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا سيما في الأصل والأساس وهو العقيدة التي يجمع الله بها بين الناس؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِتَصْرِيحِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٦] وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا

(١) أخرجه مسلم (١٠) (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا... فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... وَيَكْفُرُهُمْ لَكُمْ. قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».

أَلَفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فَلَا يُؤَلَّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ، وَكَثْرَةُ الْأَمْوَالِ، بَلْ هَذِهِ تَزِيدُ الْقُلُوبَ نُفْرَةً وَتَبَاغُضًا، مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَنْ تُوَلَّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُؤَلَّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ هُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَقَدْ حَدَّثَنَا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ مِنْ تَفَرُّقِهَا بَعْدَ مَا جَاءَتْهَا الْبَيِّنَاتُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾ [البينة: ٤]، لَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بَيْنَ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَكُوا هَذِهِ الْبَيِّنَةَ فَتَفَرَّقُوا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١)، وَهَذَا دُعَاءٌ عَظِيمٌ يَعِصِمُ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْفِتَنِ وَالشُّرُورِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠) (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى: (وَاتَّبِعِ الْهُدَى):

والهدى: هو الذي بُعث به مُحَمَّدٌ ﷺ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، و«الهدى»: هو: العلمُ النَّافعُ، و«دين الحق»: هو: العملُ الصَّالحُ.

ونقرأ في آخرِ الْفَاتِحَةِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ② ﴿ [الفاتحة: ٦، ٧].

- الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.
- وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: هُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِلْمَ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ.
- وَالضَّالُّونَ: هُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَمَلَ وَتَرَكُوا الْعِلْمَ، كَالْمُتَصَوِّفَةِ وَالْعِبَادِ الْجَهَّالِ.

والهدى والهدايةُ عَلَى قَسَمَيْنِ^(١):

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْهُدَى بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ وَبَيَانِ الْحَقِّ، وَهَذِهِ هِدَايَةٌ عَامَّةٌ، وَاللَّهُ هَدَى النَّاسَ جَمِيعاً بِمَعْنَى أَنَّهُ يَبَيِّنُ لَهُمُ الْحَقَّ، وَوَضَّحَهُ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا تَعْمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، فَهَذِهِ هِدَايَةٌ دَلَالَةٌ وَإِرْشَادٌ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ بِالْحَقِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ، وَهَذِهِ هِدَايَةٌ خَاصَّةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَمْلِكُهَا إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَلَا يَمْلِكُ هِدَايَةَ

(١) راجع أقسام الهداية في «شفاء العليل» لابن القيم (ص ٦٥) ط. دار الفكر.

الْقُلُوبِ إِلَّا اللَّهَ - جل وعلا - قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦). [القصص: ٥٦].

وهداية الدلالة والإرشاد يَمْلِكُهَا الرُّسُلُ والأنبياءُ، وأهل العلم، كُلُّهُمْ يَدُلُّونَ على الحقِّ وَيُبَيِّنُونَهُ وَيُصَرِّحُونَ بِهِ؛ ولهذا قَالَ - تعالى - لَنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢). [الشورى: ٥٢].

وَرَبَّمَا يَقُولُ قَائِلٌ: لِمَاذَا قَالَ اللَّهُ - جل وعلا - لَنَبِيِّهِ فِي آيَةٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أَلَيْسَ هَذَا تَعَارُضًا؟

الْجَوَابُ: لَيْسَ هَذَا تَعَارُضًا، حَاشَا وَكَلَّا، بَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يَعْنِي: تَدُلُّ وَتُرْشِدُ وَتُبَيِّنُ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: يَعْنِي: لَا تَقْدِرُ عَلَى تَوْفِيقِ النَّاسِ وَقَبُولِهِمُ الْحَقَّ، فَهَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، وَإِنَّمَا تَتَعَارَضُ عِنْدَ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، أَمَّا الْبَصِيرُ بِالْقُرْآنِ، وَالْبَصِيرُ بِالْعِلْمِ فَلَا يَتَعَارَضُ عِنْدَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَالْقُرْآنُ لَا يَتَعَارَضُ أَبَدًا، وَالسُّنَّةُ لَا تَتَعَارَضُ؛ لِأَنَّهُمَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَلَكِنَّ الشَّانَ فِي الَّذِي يَفْهَمُ وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدَلَّةِ.

قَوْلُهُ: (وَلَا تَكْ بِذُعِيًّا):

هَذَا نَهْيٌ، وَالْبِدْعِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى الْبِدْعَةِ، وَالْبِدْعَةُ: مَا أُخْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَاللَّهُ نَهَانَا عَنِ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ حَذَرْنَا مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ.

- فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، فَالَّذِينَ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تُضَيْفَ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ تَسْتَحْسِنُهَا أَوْ تَقْلُدُ

فيها غيرك ممّا ليس عليه دليلٌ من كتابٍ أو سنةٍ لتتقربَ بها إلى الله؛ كالأذكارِ
البدعيّة، والصَّلوات البدعيّة، وجميع أنواع التقربِ إلى الله إذا لم يكن عليه دليلٌ
فهو بدعةٌ، ولو كانت نيةٌ صاحبه حسنةً ويُريدُ الأجرَ، ويُريدُ الثَّوابَ، ولا يُريدُ
المُخالفةَ، لكن رأى أنَّ هذا فيه خيرٌ فاستحسنه، وهو في الحقيقة ليس فيه خيرٌ، لو
كان فيه خيرٌ لجاء به الكتابُ والسنةُ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿مَا
فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فكلُّ الخيرِ وكلُّ الهدايةِ في القرآنِ
والسنةِ، فمن جاء بزيادةٍ ليست في الكتابِ والسنةِ فهي بدعةٌ مردودةٌ.

-وقد قال -ﷺ-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، «مَنْ أَحْدَثَ
فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، فلا يجوزُ الإحداثُ في الدين، أو عملُ شيءٍ
لم يأت به الرسولُ ﷺ، وتُتقربُ به إلى الله! هذا بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

والبدعةُ في اللغةِ: ما أُحدثَ على غيرِ مثالِ سابقٍ؛ كأن تقولَ: هذا الشيءُ
بَدِيعٌ، يعني: جديدٌ، والله -جلَّ وعلا- يقولُ: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:
١١٧]، أي مُحدثُهُما على غيرِ مثالِ سبقٍ، ويقولُ لنبِيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ
الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، يعني: ما أنا أولُ رسولٍ، بل قبلي رُسُلٌ كثيرُونَ، فأنا
لستُ بِدْعًا، يعني: جديدًا لم يسبقْ مثلي في الأممِ السابقة، فكيف تُنكرون عليَّ
أنِّي رسولُ الله وقبلي رُسُلٌ كثيرُونَ؟!

أمَّا البدعةُ في الشرعِ: فهي ما أُحدثَ في الدين ممّا ليس منه، وليس له دليلٌ
من كتابِ الله، أو سنةِ رُسُولِهِ ﷺ.

(١) رواه مسلم (١٨) (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧) (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَالْبِدْعُ لَيْسَ فِيهَا خَيْرٌ، فَهِيَ تُبْعَدُ عَنِ اللَّهِ، وَتُغْضَبُ اللَّهُ - عز وجل - أَمَّا السُّنَنُ فَإِنَّهَا خَيْرٌ كُلُّهَا، يَرْضَاهَا اللَّهُ وَيُحِبُّهَا، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا.

كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبْغِضُ الْبِدْعَ وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا، وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا.

فَلَا مَجَالَ لِلزِّيَادَاتِ وَالْإِضَافَاتِ وَالِاسْتِحْسَانَاتِ، وَاتَّبَاعِ النَّاسِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى نَعْرِفَ دَلِيلَهُمْ، فَإِنْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ اتَّبَعْنَاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، هَذَا الْإِتِّبَاعُ عَلَى الْحَقِّ، أَمَّا إِذَا كَانُوا عَلَى غَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّا لَا نَتَّبِعُهُمْ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ.

وَالنَّصَارَى لَمَّا أَخَذُوا الرَّهْبَانِيَّةَ الَّتِي مَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ضَلُّوا بِهَا، وَأَيْضاً مَا قَامُوا بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ أَنْ يَقُومُوا بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ مَا لَا تُطِيقُ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، فَعَجَزُوا عَنْهَا وَتَرَكُوهَا ﴿فَمَارَعَوْهَا حَتَّى رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧] أَي: أَخَذْتُهَا يَتَّبِعُونَ بِهَا رِضْوَانَ اللَّهِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالذَّلِيلِ لَا بِالْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ فَقَطْ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْبِدْعَةَ شَرٌّ، وَإِنْ زَعَمَ أَصْحَابُهَا أَنَّهَا خَيْرٌ!

وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ الْبِدْعَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَبِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ^(١)!

(١) قَالَ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «الْإِعْتَصَامِ» (١/ ١٨٨ - ١٩٣) ط. المَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ: «وَمَا يورَدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَسَمُوا الْبِدْعَ بِأَقْسَامِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْخَمْسَةِ، وَلَمْ يَعْصُوا قِسْمًا وَاحِدًا مَذْمُومًا، فَجَعَلُوا مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ، وَمَنْدُوبٌ، وَبَاحٌ، وَمَكْرُوهٌ، وَمَحْرَمٌ، وَبَسَطَ ذَلِكَ الْقِرَافِيُّ بِسَطًّا شَافِيًّا، وَأَصْلُ مَا أَتَى بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْخُهُ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ»، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ كَلَامَ الْقِرَافِيِّ وَشَيْخِهِ فِي تَقْسِيمِ الْبِدْعَةِ، قَالَ: «... هَذَا التَّقْسِيمُ أَمْرٌ مُخْتَرَعٌ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِي، بَلْ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُتَدَافِعٌ؛ لِأَنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِدْعَةِ أَنَّ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِي لَا مِنْ نصوصِ الشَّرْعِ وَلَا =

فنقول: البدع في الدين ليس منها شيء حسن؛ لأن النبي ﷺ قال: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(١)، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْبِدَعِ بَدْعَةً حَسَنَةً، فَإِنَّهُ يَكُونُ مَكْذِبًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»، وقوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، فَلَا تُوجَدُ بَدْعَةٌ حَسَنَةٌ فِي الدِّينِ أَبَدًا.

أَمَّا مَا سَمَّوْهُ مِنَ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ؛ كِبِنَاءِ الْمَدَارِسِ، وَالرُّبُطِ، وَتَأْلِيفِ الْكُتُبِ.

فنقول: هَذِهِ لَيْسَتْ بِدْعًا، بَلْ هِيَ مِمَّا حَثَّ الدِّينُ عَلَيْهِ، وَهِيَ وَسَائِلُ إِلَى أُمُورٍ مَشْرُوعَةٍ، فَقَدْ حَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفَعَلَ الْخَيْرِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ وَسَائِلِ الْخَيْرِ، وَهِيَ مُعِينَةٌ عَلَى فَعْلِ الْخَيْرِ. فَهِيَ لَيْسَتْ بِدْعًا، وَقَدْ جَاءَ بِهَا الدِّينُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ

= من قواعده؛ إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثمَّ بدعة، ولكان العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين أن تلك الأشياء بدع، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين. أما المكروه منها والمحرم فمُسَلَّم من جهة كونها بدعًا لا من جهة أخرى؛ إذ لو دل دليل على منع أمرٍ أو كراهته لم يُثَبِّت ذلك كونه بدعة؛ لإمكان أن يكون معصية، كالقتل والسرقه وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم ألبة إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه.

فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع صحيح، وما قسمه فيها غير صحيح. ١. هـ. بتصرف.

(١) ورد من حديث جابر رضي الله عنه في خطبة النبي ﷺ أنه كان يقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخْدَنَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»، أخرجه مسلم (٤٥) (٨٦٧)، وقد وردت هذه الجملة مختصرة ومطولة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند أحمد في المسند (١/ ٣٩٢، ٣٩٣) وأبي داود (١٠٩٧)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ووردت في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه. سبق تخريجه (ص ٤٧).

الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنَ ﴿[المائدة: ٢].

وأما قوله -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»^(١)، فالمقصودُ به أَنَّهُ: أَخْبَا سُنَّةً قَدْ أُمِيتَتْ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ اقْتَدَى بِهِ فَعَمِلَ بِهَا، فَهَذِهِ لَيْسَتْ بِدْعَةٍ حَسَنَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ.

فَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَعَمَلُ مَا يُعِينُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مِنْ فَتْحِ الْمَدَارِسِ، وَإِنْشَاءِ الْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ، وَفَتْحِ الرُّبُطِ لَطَلَبَةِ الْعِلْمِ، هَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُعِينُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعاً، وَلَيْسَ مِنَ الْبِدْعِ.

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْمُبْتَدَعَةُ فِي غَيْرِ الدِّينِ، كَصِنَاعَةِ الطَّائِرَاتِ وَالسِّيَّارَاتِ، وَالْمَرَاكِبِ الْبَحْرِيَّةِ، فَهَذِهِ أُمُورٌ مُبَاحَةٌ وَلَيْسَتْ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ: ﴿وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، لِأَجْلِ مَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، فَهَذِهِ لَا تَدْخُلُ فِي الْعِبَادَاتِ، لَكِنْ قَدْ يُسْتَعَانُ بِهَا لِأَدَاءِ الْعِبَادَةِ: فَتَرْكُ السِّيَّارَةِ لِلْحَجِّ، أَوْ لِصَلَةِ الرَّحِمِ، أَوْ تَحْصِيلِ الْمُبَاحَاتِ، وَتَرْكُهَا لِلتَّجَارَةِ، وَلِلزَّهْوَةِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ مَنَافِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ لَنَا، فَلَيْسَتْ بِدْعَةٍ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ، بَلْ هِيَ مِنَ الْعَادَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، فَلَا نَسْمِيهَا بِدْعَةً، إِلَّا إِنْ كَانَ مِنْ نَاحِيَةِ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّهَا شَيْءٌ جَدِيدٌ، وَلِكُونِهَا ظَهَرَتْ فِي وَقْتٍ، وَلَمْ تَظْهَرْ فِيمَا قَبْلَهُ، حَيْثُ قَدَّرَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا.

فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ، وَيَقُولُونَ:

(١) أخرجه مسلم (٦٩) (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

هل كُلُّ شَيْءٍ بِدْعَةٌ؟! فَتَقُولُ: لَا، لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ بِدْعَةٍ، بَلِ الْبَدْعُ هِيَ مَا أُخْدِتَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ. أَمَّا مَا عَدَاهَا فَلَيْسَ بِدْعَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ. فَفَرَّقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

وَقَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (لَعَلَّكَ تَفْلِحُ):

يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ الْفَلَاحَ، وَهُوَ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَاتَّبَعَ الْهُدَى، هَذَا هُوَ سَبِيلُ الْفَلَاحِ. وَالْفَلَاحُ هُوَ: كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَتَبَلُّ السَّعَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ (٢)﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ۝ (١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ (١١)﴾ [المؤمنون: ٩-١١]، فَهَذِهِ هِيَ أَسْبَابُ الْفَلَاحِ.

فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الْفَلَاحَ فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

١- تَمَسَّكَ بِكِتَابِ اللَّهِ.

٢- وَاتَّبَعَ الْهُدَى.

٣- وَتَجَنَّبَ الْبَدْعَ.

فَإِنْ أَخْلَلْتَ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَإِنَّكَ تَخْسِرُ وَلَا تُفْلِحُ أَبَدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَمَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، فَضِدُّ الْفَلَاحِ: هُوَ الْخَسَارُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَلَمْ يَخْسِرُوا الْأَمْوَالَ، بَلْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ. وَكَوْنُ الْإِنْسَانِ يَخْسِرُ نَفْسَهُ هَذَا أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْخَسَارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةُ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ [الزمر: ١٥].
وَقَوْلُهُ: (لَعَلَّكَ):

هذا رَجَاءٌ؛ لأنَّ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ أَلَّا نَجْزِمَ لِأَحَدٍ بِفَلَاحٍ إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ
أَوْ السُّنَّةِ تَعْيِينُهُ أَنَّهُ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، فَإِنَّا لَا نَجْزِمُ لَهُ بِالْفَلَاحِ، وَلَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ،
وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ، وَأَيْضاً الْمُسْلِمُ لَا يَغْتَرُّ بِعَمَلِهِ.

فَمَعْنَى قَوْلِهِ: (لَعَلَّكَ تَفْلِحُ): أَي لَا تَغْتَرَّ بِعَمَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ
بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، وَلَا تَعْتَمِدَ عَلَى الرَّجَاءِ
فَحَسْبُ يَدُونِ عَمَلٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ الضَّالِّينَ، وَهَذَا هُوَ الرَّجَاءُ الْمَذْمُومُ،
وَالرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ. فَتَعْمَلُ السَّبَبَ وَتَرْجُو مِنَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ.

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي

أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبُحُ

الشرح:

قول الناظم -رحمه الله تعالى-: (وَدِنْ): يعني: اتَّبِعْ فِي دِينِكَ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبِعْ سُنَنَ الرَّسُولِ ﷺ، فَاجْعَلْ عَمَلَكَ مَأْخُوداً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْسَ مَأْخُوداً عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ.

قوله: (وَالسُّنَنِ): جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الرَّسُولِ ﷺ الْقَائِلِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»^(١)، أَي: طَرِيقَتِي.

وَأَمَّا عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَفِي عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، فَالسُّنَّةُ: هِيَ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ صِفَةٍ.

فَلَهَا إِطْلَاقٌ عَامٌّ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ.

وَإِطْلَاقُهَا الْخَاصُّ هُوَ تَفْصِيلُ الْمُحَدِّثِينَ.

وَهَذَا فِيهِ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِالسُّنَّةِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، فَالسُّنَّةُ هِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي مِنْ مَصَادِرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَأُصُولُ الْاِسْتِدْلَالِ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ مِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، لَكِنْ الْمَتَّفَقُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أُصُولٍ:

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

الْأَصْلُ الثَّانِي: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا الْوَحْيُ الثَّانِي بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَاللَّهُ

-جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ويقول -جل وعلا-: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، هذا هو الأصل الثاني، وهو سنة الرسول ﷺ، وهو ﷺ كما وصفه ربّه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (١)﴾ [النجم: ٣، ٤]؛ ولهذا يصفها العلماء بالوحي الثاني بعد القرآن الكريم.

فَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِبَّ عَلَيْنَا أَخْذُهُ وَاتِّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مُتَوَاتِرًا أَوْ أَحَادًا، خِلَافًا لِلْمُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ السُّنَّةَ، وَيَقُولُونَ: يَكْفِينَا الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ!

وَمِنَ الْمَعْلُومِ وَالْمَقَرَّرِ أَنَّ الْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ مِنَ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: يَكْفِينَا الْقُرْآنُ!

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَقَالَ: ﴿وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

فَهَؤُلَاءِ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ: نَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ! فَهَمُ لَمْ يَعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ، لَمَّا عَطَّلُوا السُّنَّةَ.

وأيضاً فالقرآن فيه مُجْمَلَاتٌ، والسُّنَّةُ هي التي تُبَيِّنُهَا وتفصِّلُهَا، والله -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فالسُّنَّةُ لها ارتباطٌ وثيقٌ بالقرآن؛ لِأَنَّهَا بَيَانٌ لَهُ وَتَوْضِيحٌ، وَهِيَ تَفْصِيلٌ لِمُجْمَلِهِ، وَتَقْيِيدٌ لِمُطْلَقِهِ. وَقَدْ يُنْسَخُ الْقُرْآنُ بِالسُّنَّةِ، وَالسُّنَّةُ بِالْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

بِالسَّنَةِ، فَلَا بَدَّ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبِ الْعَظِيمَةِ.

وبهذا يُعلم منزلة السنة من القرآن ومكانتها في الإسلام.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنِ السَّنَةِ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَ مِنْهُمْ؛ فَقَالَ: «أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ مُتَكَيِّ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ! أَلَا وَإِنْ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(١).

وَكَذَا قَوْلُهُ ﷺ: «أُوتِيَتْ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» يَعْنِي: السَّنَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وَقَالَ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فَالْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْحِكْمَةُ هِيَ السَّنَةُ.

فَالسَّنَةُ لَا بَدَّ مِنْهَا، وَهِيَ الْأَصْلُ الثَّانِي مِنْ أُصُولِ الْأَدَلَّةِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا.

وَلَا عِبْرَةَ بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ إِمَّا خَوَارِجُ، أَوْ جُهَّالٌ، أَوْ مُتَعَالِمُونَ، أَوْ لَهُمْ أَغْرَاضٌ سَيِّئَةٌ يُرِيدُونَ إِطْفَاءَ الدِّينِ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَلَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِمْ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَى قَوْلِهِمْ، بَلْ يُؤْخَذُ بِالسَّنَةِ الصَّحِيحَةِ: سِوَاءٍ فِي الْفُرُوعِ أَوْ فِي الْأُصُولِ.

وَلَا يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِمْ: أَخْبَارُ الْآحَادِ لَا يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْعَقَائِدِ إِمَّا يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْفُرُوعِ؛ لِأَنَّهَا أَدَلَّةٌ ظَنِّيَّةٌ!!

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (١٣١/٤)،

وابن حبان (١٨٨/١) من حديث المقدم بن معد يكرب، والبيهقي في «السنن الكبرى»

(٣٣٢/٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٣/٢٠).

نَقُولُ: ظَنِيَّةٌ عِنْدَكُمْ، أَمَّا عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَهِيَ لَيْسَتْ ظَنِيَّةً، بَلْ هِيَ تَفِيدُ الْيَقِينَ، مَا دَامَتْ صَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهِيَ تَفِيدُ الْعِلْمَ، وَلَيْسَتْ ظَنِيَّةً، فَيُؤْخَذُ بِهَا فِي الْعَقَائِدِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَفِي غَيْرِهَا.

الأَصْلُ الثَّلَاثُ: الإِجْمَاعُ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وَقَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»^(١)، فَالِإِجْمَاعُ الْقَوْلِيُّ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ، أَمَّا الإِجْمَاعُ السُّكُوتِيُّ فَإِنَّهُ حُجَّةٌ ظَنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ مُخَالَفٌ وَلَمْ يَتَبَيَّنْ، وَلَكِنْ إِذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ قَوْلًا وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ، فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

الرَّابِعُ: الْقِيَاسُ: وَهُوَ الْإِحَاقُ الْفَرْعِ بِالْأَصْلِ فِي الْحُكْمِ لِعِلَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا. وَهُوَ مَا يُسَمُّوهُ «قِيَاسُ الْعِلَّةِ»، وَقَدْ قَالَ بِهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْكَرَهُ الظَّاهِرِيُّ، وَبَعْضُ الْحَنَابِلَةِ، وَطَوَائِفُ قَلِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ جُمْهُورُ الْأُمَّةِ عَلَى الْقَوْلِ بِالْقِيَاسِ، وَهُوَ دَلِيلٌ صَحِيحٌ إِذَا تَوَفَّرَتْ شَرْطُهُ الْمَذْكُورَةُ فِي كِتَابِ الْأُصُولِ.

تَبَقِيَ عِدَّةُ أُصُولٍ مِثْلُ: قَوْلِ الصَّحَابِيِّ، وَمِثْلُ: اسْتِصْحَابِ الْأَصْلِ، هَذِهِ أُمُورٌ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا، وَالْخِلَافُ فِيهَا قَوِيٌّ.

أَمَّا الْخِلَافُ فِي الْقِيَاسِ فَهُوَ خِلَافٌ ضَعِيفٌ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى الْإِحْتِجَاجِ

(١) هَذَا الْحَدِيثُ وَرَدَ عَنْ عِدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مِنْهُمْ: أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ عِنْدَ أَبُو دَاوُدَ (٤٢٥٣)، وَالتَّطَبَّرِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٣٤٤٠)، وَابْنُ عَمْرٍو عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٢١٦٧)، وَقَالَ: (غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢٠٠/١)، وَأَنْسَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهٍ (٣٩٥٠).

بِالْقِيَاسِ وَلَكِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ يَقُولُ: (الْقِيَاسُ يُذْهَبُ إِلَيْهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ)^(١)، مَثَلُ الْمِيتَةِ، حَيْثُ يُذْهَبُ إِلَيْهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، فَإِذَا وَجَدَ النِّصَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْقِيَاسِ، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ يُذْهَبُ إِلَى الْقِيَاسِ مِنْ بَابِ الضَّرُورَةِ.

فَقَوْلُ النَّاطِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ

يعني: اجعل دينك مأخوذاً عن كتاب الله -عزَّ وجلَّ- وسنة رسول الله ﷺ، وهي الأحاديث الصحيحة، أمَّا ما جاء عن غيره: فيُنظر فيه، فإن وافق الكتاب والسنة أخذ به، وإن خالف الكتاب والسنة فإنه يُردُّ على صاحبه. والأئمة يُوصون بهذا.

يقول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-^(٢): (إِذَا خَالَفَ قَوْلِي قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخُذُوا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاضْرِبُوا بِقَوْلِي غُرُضَ^(٣) الْحَائِطِ).

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٢٠٤)، والذهبي في «السير» (٧٧/١٠).

(٢) انظر أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء في: «قواعد التحديث» للقسامي (ص ٢٧٣) ط. دار الكتب العلمية، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٥) و«الرد على الأحنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٨٥) ط. المطبعة السلفية، و«الصارم المسلول» له (١/٣٠٦) ط. دار ابن حزم، بيروت، و«إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/٢٨٧) ط. دار الجيل، و«تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٦٣) ط. مكتبة التراث الإسلامي.

(٣) غُرُضُ الْحَائِطِ: بضم العين وسكون الراء المهملتين، أي: جانبه ووسطه، كذا قال الحافظ في «فتح الباري» عند شرحه لحديث أنس أن النبي ﷺ قال: «غُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي غُرُضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ» كتاب (٩) مواقيت الصلاة، باب (١١) وقت الظهر عند الزوال رقم (٥٤٠)، (٢/٣٠).

ويقول الإمام مالك - رحمه الله تعالى -: (كُلُّنَا رَاذٌ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ).

يعني رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يُدْرَسُ في المسجد النبوي، فيقول: (إلا صاحب هذا القبر)، فالرسول لا يُرَدُّ عليه أبداً، وإنما يُقْبَلُ قوله عليه الصلاة والسلام، أمّا غيره فإن وافق الكتاب والسنة أخذ به وإن خالف يُرَدُّ.

والإمام أبو حنيفة وهو أول الأئمة الأربعة - رحمهم الله تعالى - يقول: (إن جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن التابعين فهم رجالٌ ونحن رجالٌ). يعني: الذي جاء عن غير الله ورسوله وأصحابه يُنظر فيه، ولو كان من جاء عنه من أفضل الناس، ولو كان من التابعين: فإن وافق الكتاب والسنة أخذنا به، وإن خالف تركناه.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: (عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتْ يَدُهُمْ لِرَأْيِ سَفِيَانٍ)! [أي: سفيان الثوري الفقيه الإمام الجليل]، قال: والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فلا يجوز أخذ قول الفقيه مهما بلغ من الفقه والعلم إلا إذا كان مبنياً على دليل صحيح، أمّا إن كان مخالفاً للدليل فلا يُؤخذ به؛ لأنه لا قول لأحد مع قول الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

[عَقِيدَةُ السَّلَفِ فِي كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]

٣- وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا

بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الشرح:

مِنَ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يُشْكُونَ بَأْنَ الْقُرْآنِ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَأَوْحَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ، وَنَزَلَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى الْأُمَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٢٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٢٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

﴿لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: تَكَلَّمَ بِهِ وَنَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: وَهُوَ جِبْرِيلُ الْمُوكَّلُ بِالْوَحْيِ.

﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: هَذَا خِطَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ تَلْقَاهُ عَنْ

جِبْرِيلَ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: لُغَةُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَهِيَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ.

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٢٦﴾﴾ [التكوير: ١٩]، يَعْنِي:

جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]: وهو الله - سبحانه وتعالى -.

﴿مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]: يعني: جبريل عليه السلام، أعطاه الله قوة، وأعطاه الله مكانة وقرباً منه - جلّ وعلا -.

﴿مُطَاعٍ نَمٍّ﴾ [التكوير: ٢١]: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]: أمينٌ على وحي الله عزّ وجلّ.

هذه أوصافُ جبريل عليه السلام، فهو أمينٌ على وحي الله، لا يريدُ فيه ولا يَنْقُصُ، وإنما يُبَلِّغُهُ كما تحمّله عن الله جلّ وعلا.

ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾: يعني محمداً ﷺ، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]: كما يقولُهُ المُشْرِكُونَ، نفَى عنه الجنونَ.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: أي: رأى جبريل - عليه السلام - على صورته الملكيّة، رآه فوقه ببطحاء مَكَّة^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، قال زر بن حبیش في قوله تعالى: ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ① فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ② [النجم: ٩، ١٠]: حدثنا ابن مسعود رضي الله عنه: (أنه رأى جبريل له ستمائة جناح)، ورواه مسلم (٢٨٠) (١٧٤)، ورواه البخاري أيضاً (٣٢٣٥) من حديث عائشة قالت: (ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق)، ورواه مسلم (٢٨٧) (١٧٧) (٢٩٠).

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقى الْمُبِينِ﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله - عز وجل - على الصورة التي خلقها الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِالْأَفْقى الْمُبِينِ﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ③ ذُورِمَرَوَّاسْتَوَىٰ ④ وَهُوَ بِالْأَفْقى الْأَعْلَىٰ ⑤ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑥ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑦ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑧» انظر «تفسير ابن كثير» (١٣٠/٩) ط. المنار.

﴿بِالْأُنْفِ﴾ [التكوير: ٢٣]: يَعْنِي: عَنَانَ السَّمَاءِ، رَأَاهُ رُؤْيَا عِيَانٍ.

ثم قال -جلّ وعلا-: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]: أي: رأى محمد ﷺ جبريل على صورته مرة ثانية عند سدره المنتهى ليلة المعراج^(١). فبينما محمد ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها مرتين: مرة في مكة، ومرة في الملاء الأعلى عند سدره المنتهى، وما عدا ذلك فإن جبريل يأتي إلى محمد ﷺ في صورة رجل، وعنده أصحابه يرونه رجلاً؛ لأنهم لا يطيقون رؤيته على صورته الملكيّة.

فهذا توثيق لسند القرآن الكريم، أنه تلقت أمة محمد ﷺ عن محمد ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل، فهو كلام الله.

وأما إضافته إلى الملك في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، وإضافته إلى محمد ﷺ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١] فهي إضافة تبليغ، فمحمد ﷺ وجبريل -عليه السلام- كلاهما متحمل ومبلغ لكلام الله.

(١) روى مسلم (٢٨٠) (١٧٤) في الإيمان باب في ذكر سدره المنتهى: قال زر بن حبیش عن ابن مسعود رضي الله عنه: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) قال: رأى جبريل -عليه السلام- له ستمائة جناح.

وروى أحمد حديث ابن مسعود مرفوعاً (١/ ٤٦٠) قال ابن مسعود في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١١﴾: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ، يَسْتِيرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتُ: الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ». قال ابن كثير: إسناده جيد قوي.

ورواه أحمد (١/ ٤٠٧) من طريق أخرى مرفوعاً بلفظ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ». قال ابن كثير: إسناده جيد.

وَالكَلَامُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْلَغًا مُؤَدِّيًا^(١)؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ ثَلَاثَةٍ، فَاللهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَامُهُ. وَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ، وَإِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ التَّبْلِيغِ فَحَسَبَ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ ابْتِدَاءً، وَهُوَ كَلَامُ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ تَبْلِيغًا عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

لَا يَشَكُّ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا، أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، مَنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الزمر: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الزمر: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وَاللهُ -جَلَّ وَعَلَا- وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ.

أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَزَلَ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ!

وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. نَعَمْ هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، ﴿وَلَئِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٍ ۝﴾ [الزخرف: ٤]، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ بِلَا شَكٍّ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ اللَّوْحِ -كَمَا تَقُولُهُ الْأَشَاعِرَةُ- وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنْ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةُ هَذَا؛ لِأَنَّ هَذَا مَذْكُورٌ فِي عَقَائِدِ الْأَشَاعِرَةِ، وَقَدْ رَدَّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ -رَحِمَهُ اللهُ- عَلَى هَذَا الْقَوْلِ فِي رِسَالَةِ مَطْبُوعَةٍ -وَهِيَ

(١) انظر: الواسطية (ص ١٣٦) بشرح المؤلف حفظه الله، ط. مكتبة المعارف بالرياض.

أَيْضاً مع فتاواه- سَمَّاهَا: «الْجَوَابُ الْوَاضِحُ الْمُسْتَقِيمُ فِي كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»^(١)، رَدَّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَأَبْطَلَهُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ: بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَسِيلَةً إِلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ، فَهَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ.

وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ؛ كَمَا أَنَّهُ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُدَبِّرُ وَيَشَاءُ وَيُرِيدُ، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَتَكَلَّمُ كَلَاماً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ.

وَكَلَامُهُ قَدِيمُ النَّوعِ حَادِثُ الْآحَادِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ: يَتَكَلَّمُ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ نُزِلَ، وَيُكَلِّمُ جِبْرِيلَ، وَكَلَّمَ مُوسَى، وَكَلَّمَ نَبِيَّنا مُحَمَّدًا ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَلَّمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُ النَّاسَ، وَيُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَدِيمِ النَّوعِ لَا بَدَايَةَ لَهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، حَادِثِ الْآحَادِ.

وَسَائِرُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهَا كَلَامُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَمِنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُهَا، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُهَيِّئاً عَلَيْهَا، فَهُوَ كَلَامُهُ -جَلَّ وَعَلَا- حَقِيقَةٌ لَا مَجَازاً، مُنَزَّلٌ مِنْهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيُصَرِّحُونَ بِهَذَا.

وَالْمُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ لَيْسَ عَنْدهُمْ شَكٌّ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا لَمَّا ظَهَرَتْ

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/١٤٩) رقم (١٥٩) وهي ردٌّ على السيوطي في كتابه «الإتقان».

الْجَهَنَّمِيَّةُ وَقَالُوا: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَتِ الْمُعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ
وَمُشْتَقَاتُهُمْ، رَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَبَيَّنُّوا أَنَّ الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِنْطِلَالًا
لِقَوْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ
لَا يَكُونُ إِلَهًا؛ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِأَبِيهِ: ﴿يَتَأْتِيهِمْ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فَالَّذِي لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ جَمَادٌ، وَفِي
الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا
أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، لَا يُكَلِّمُهُمْ لِأَنَّهُ جَمَادٌ، فَدَلَّ
عَلَى أَنَّ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَيْسَ بِإِلَهٍ؛ وَكَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا
جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ
قَوْلًا﴾، يَعْنِي: لَا يَكَلِّمُهُمْ ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٨، ٨٩]. وَ(أَنَّ)
هَذِهِ لَيْسَتْ الْمَصْدَرِيَّةُ، بَلْ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالْأَضْلُ (أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ)،
وَلِذَلِكَ صَارَ الْفِعْلُ مَرْفُوعًا بَعْدَهَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَا يَصْلُحُ لِلرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ نَاقِصٌ، كَيْفَ
يَأْمُرُ، وَكَيْفَ يَنْهَى، وَكَيْفَ يُدَبِّرُ وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ؟! هَذَا تَعَجِيزُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاللَّهُ
- جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَعَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَعْدَّ كَلِمَتَ رَبِّي﴾
[الكهف: ١٠٩]، وَيَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ
بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فَكَلِمَاتُ اللَّهِ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا
وَيَنْهَى وَيُدَبِّرُ - دَائِمًا وَأَبَدًا - لَا تُخْصَى وَلَا تَكْتَبُهَا الْبِحَارُ وَأَقْلَامُ الدُّنْيَا.

والجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ!

فَهَذَا فِيهِ وَصْفُ اللَّهِ بِالْعَجْزِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى.

وفيه -أيضاً- أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ.

مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ مِنْ أَصُولِ الْأَدَلَّةِ، فَإِذَا كَانَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِهِ؟!

وهي دَسيْسَةُ يَهُودِيَّةٍ؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ مَأْخُودٌ عَنِ الْيَهُودِ؛ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رحمه الله تعالى- في رسالته الحمويَّة^(١). أَنَّهُ مَأْخُودٌ عَنِ الْيَهُودِ. وَلَيْسَ هَذَا بَغْرِيْبٍ عَلَى الْيَهُودِ -لَعَنَهُمُ اللَّهُ- الَّذِينَ حَرَّفُوا كَلَامَ اللَّهِ وَبَدَّلُوا وَغَيَّرُوا، فَهَذِهِ دَسيْسَةُ مِنَ الْيَهُودِ لِيُبْطِلُوا الْقُرْآنَ الَّذِي بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا مَذْهَبٌ خَبِيْثٌ؛ وَلِهَذَا انْبَرَى الْأَثْمَةُ إِلَى رَدِّهِ وَإِبْطَالِهِ، وَيَبَيِّنُ أَنَّهُ زَيْفٌ مَدْسُوسٌ.

أَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مَسْأَلَةَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْإِهْتِمَامِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ -كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُتَحَذِّلِقِينَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُعَاَصِرِينَ، وَمَنْ يَتَسَمَّى بِالْعِلْمِ- فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَهَذَا تَهْوِينٌ مِنْ مَسْأَلَةٍ خَطِيرَةٍ لَا يَنْبَغِي التَّسَاهُلُ فِيهَا، فَلَيْسَ هِيَ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ.

وَهَذَا الْكَلَامُ تَسْفِيَةٌ لِلْأَثْمَةِ الَّذِينَ اهْتَمُّوا بِرَدِّهَا، وَعُدَّتْ مَنْ عُدَّتْ بِسَبِّهَا كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي رَدِّهَا، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يَقُولُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَافِهَةٌ وَلَا تَحْتَمِلُ كُلَّ هَذَا!

فَهَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا لَا يَدْرِي عَنْ شَيْءٍ، وَإِمَّا أَنَّهُ مُتْجَاهِلٌ مُبْطِلٌ يُرِيدُ أَلَا

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص ٢٣٢-٢٣٥) ط. دار الصميعي.

يُردَّ على الجَهْمِيَّة والمُعْتزِلَةِ والأشاعرة.

وبعضهم يقول: النَّاسُ أحرارٌ، لا تُحجِّروا عليهم حُرِّيَّة القول وحُرِّيَّة الكلمة! يعني: لا تردُّوا الباطلَ، ولا تُبَيِّنوا الحقَّ، كلُّ له كلامه، وكلُّ له قوله! فعلى هذا تكون الدنيا فَوْضَى.

فَيَنْبَغِي التَّقَطُّنُ لهذه الدَّسائِسِ، وهذه الشُّرورِ التي تُحاكُّ ضِدَّ المُسلمين.
قول الناظم - رحمه الله تعالى -: (وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ): هذا ردُّ على الجَهْمِيَّةِ
ومن قال بقولهم.

وقوله: (كَلَامٌ مِلِكَيْنَا): المَلِكُ هو المَلِكُ، والله - جَلَّ وَعَلَا - هو المَلِكُ، قال تعالى: ﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] فالله - جَلَّ وَعَلَا - هو مَالِكُ الْمُلْكِ، وأمَّا الملوكُ من بني آدمَ فَإِنَّمَا مُلْكُهُمْ عَارِيَّةٌ: يُؤْتِيهَا اللهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَنْزِعُهَا مِنْهُمْ وَيُعْطِيهَا لِآخَرٍ، فهو من بابِ التَّدَاوُلِ. أمَّا الْمُلْكُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ الذي لا يزولُ فهو مُلْكُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقُولُ اللهُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: فَلَا أَحَدٌ يُجِيبُ، وَلَا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ، فَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ دَعْوَى لَقَالَ: الْمُلْكُ لِي، ثُمَّ يُجِيبُ اللهُ - جَلَّ وَعَلَا - نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر: ١٦]، وَلَا أَحَدٌ يُعَارِضُ فِي هَذَا، فالْمُلْكُ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَإِنَّمَا يَهَبُ مَنْ يَشَاءُ شَيْئًا مِنَ الْمُلْكِ مَدَّةً مُحدَّدةً، ثُمَّ إِنَّمَا أَنْ يَمُوتَ، أَوْ يُؤْخَذُ مِنْهُ الْمُلْكُ وَيُنْزَعُ بِالْقُوَّةِ.

قَوْلُ النَّاطِمِ - رحمه الله تعالى - : (بِذَلِكَ) : أي : بأنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ .

قَوْلُهُ : (دَانَ الْأَتَقِيَاءُ) : يَعْنِي : اعتقدَ الأتقياءُ مِنْ الْأُئِمَّةِ هَذَا الْقَوْلَ .

قَوْلُهُ : (وَأَفْصَحُوا) : أي : أَظْهَرُوهُ لِلنَّاسِ ، وَقَالُوا : الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ . لَمْ

يَسْكُتُوا وَيَقُولُوا : هَذِهِ آرَاءُ ، وَتَرَكُوا النَّاسَ عَلَى حُرِّيَةِ الْكَلِمَةِ ، وَحُرِّيَةِ الرَّأْيِ ، بَلْ

إِنَّهُمْ أَفْصَحُوا غَايَةَ الْإِفْصَاحِ ، وَنَاطَرُوا وَجَادَلُوا ، وَأَلْفُوا وَكَتَبُوا فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ ؛

لِحُطُورِيهِ وَشَنَاعَتِهِ ، وَلَمَّا فِيهِ مِنْ تَنْقُصِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَلَا يَسَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ أَنْ

يَسْكُتُوا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ أَوْ يَتَسَاهَلُوا فِيهِ .

[قَوْلُ الْوَاقِفَةِ فِي الْقُرْآنِ]

٤ - وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا

كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْهَمٍ وَأَسْبَحُوا

الشرح:

قَوْلُ النَّازِمِ - رحمه الله تعالى - «وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا»:

مِنَ الْجَهْمِيَّةِ مَنْ يُصْرِّحُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَهُمْ رُؤُوسُ الْجَهْمِيَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَا أَقُولُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بَلْ أَتَوَقَّفُ!

وَهَذَا شَيْطَانٌ آخَرُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ تَوَهَّمِ النَّاسُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْبَيَانِ، فَإِذَا قَالُوا: مَخْلُوقٌ، فَلَا تَتَوَقَّفُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّكَ تُؤَيِّدُهُمْ وَلَكِنَّكَ لَا تُصْرِّحُ، فَلَا يَجُوزُ التَّوَقُّفُ فِي هَذَا.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْوَاقِفَةِ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهَذَا مَعْنَاهُ كِتْمَانُ بَيَانِ الْحَقِّ، وَيُعْطَى احْتِمَالًا لِقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ صَحِيحٌ، حَيْثُ لَمْ يُرَدِّ وَلَمْ يُفْضَحْ وَلَمْ يُكْشَفْ.

فَالَّذِي يَشْكُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَيَتَوَقَّفُ، هَذَا جَهْمِيٌّ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ لَيْسَ جَهْمِيًّا لَصَرَّحَ، وَقَالَ: الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَلَكِنَّهُ يَتَسَتَّرُ بِالتَّوَقُّفِ.

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ أَخْبَثُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ صَرَّحُوا وَعَرَفَ مَذْهَبُهُمْ، أَمَّا

هَذَا فَهُوَ يَخْدَعُ النَّاسَ فِي أَنَّهُ مُتَوَرِّعٌ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقَوْلِ بِهَذَا الْأَمْرِ. فَلَا يَكْفِي التَّوَقُّفُ، بَلْ لَا بَدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِبُطْلَانِ هَذَا الْقَوْلِ.

قَوْلُهُ: (كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْهَمٍ وَأَسْجَحُوا):

جَعَلَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَتْبَاعِ الْجَهْمِيَّةِ لَمَا تَوَقَّفُوا، بَلْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَرِّحُونَ بِذَلِكَ؛ وَكَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ النَّاسَ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ لَجُؤًا إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ؛ لَيْسَتْ رِوَايَا بِهَا بَاطِلَةٌ؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَثَلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ التَّوَقُّفِ قَالَ: لَوْ كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَقُولَ الْجَهْمِيَّةُ مَا قَالَتْ كُنَّا نَتَوَقَّفُ، أَمَّا بَعْدَ مَا قَالُوا قَوْلَتَهُمُ الشَّيْعَةَ فَلَا بَدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِبُطْلَانِهَا وَرَدِّهَا. هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْأَلَةِ التَّوَقُّفِ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: (وَأَسْجَحُوا)^(١): الْإِسْجَاحُ هُوَ التَّسَاهُلُ وَاللَّيْنُ، يَعْنِي: تَسَاهَلُوا.

وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (وَأَسْمَحُوا): مِنَ السَّمَاحِ، يَعْنِي: سَمَحُوا لِهَذَا، وَسَوَاءٌ أَسْجَحُوا أَوْ أَسْمَحُوا، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا، وَإِنَّمَا لَانُوا مَعَ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَلَمْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ، بَلْ تَوَقَّفُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

(١) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «النهاية» (٢/ ٣٤٢): فِي حَدِيثِ عَلِيِّ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَالِ: وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيَةً سُجْحًا أَوْ سَجْحَاءَ، السُّجْحُ: السَّهْلَةُ، وَالسَّجْحَاءُ تَأْنِيثُ الْأَسْجَحِ، وَهُوَ السَّهْلُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: (قَالَتْ لِعَلِي يَوْمَ الْجَمَلِ حَيْثُ ظَهَرَ: مَلَكَتْ فَأَسْجَحُ)، أَي: قَدَّرْتُ فَسَهَّلْتُ وَأَخْسَنَ الْعَفْوَ. هُوَ مِثْلُ سَائِرِ. وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ الْأَكْوَعِ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ: (مَلَكَتْ فَأَسْجَحُ).

هـ - وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ حَلْقًا قِرَاءَةً

فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

الشرح:

وَهَذَا مَذْهَبُ ثَالِثٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

الْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.

الْمَذْهَبُ الثَّانِي: التَّوَقُّفُ، فَلَا يُقَالُ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: يَقُولُونَ: اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ!

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ احْتِيَالٌ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ. بَلْ لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ، إِنْ قُلْتَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ وَلَمْ تُفَصِّلْ؛ فَهَذَا مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهَذَا - أَيْضًا - تَأْيِيدٌ لِقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَأَنْتَ أَدْخَلْتَ أَفْعَالَكَ مَعَ أَفْعَالِ اللَّهِ، وَجَعَلْتَ فَعْلَكَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ، وَيَجْعَلُونَ الْعِبَادَ هُمْ الَّذِينَ يَبْتَكِرُونَ أَفْعَالَهُمْ وَيَخْلُقُونَهَا.

فَلَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ بِأَنْ تَقُولَ: مَاذَا تُرِيدُ بِقَوْلِكَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ، هَلْ تُرِيدُ التَّلَفُّظَ وَالصَّوْتَ، أَوْ تُرِيدُ الْمَلْفُوظَ بِهِ؟

- فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَلْفُوظَ بِهِ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِنَّمَا الْمَلْفُوظُ بِهِ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -.

—أَمَّا إِذَا أَرَدْتَ بِهِ التَّلْفِظَ الَّذِي تَنْطِقُهُ بِلِسَانِكَ فَهَذَا مَخْلُوقٌ، فَلِسَانُكَ مَخْلُوقٌ، وَصَوْتُكَ مَخْلُوقٌ، وَلَفْظُكَ مَخْلُوقٌ. وَلَكِنَّ الْمَكْفُوظَ بِهِ الْمُؤَدَّى بِاللَّفْظِ، هَذَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَلَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ.

هَم يُرِيدُونَ الْإِجْمَالَ، بَأَنْ تَقُولَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، أَوْ تَقُولَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَيَدْخُلُونَ مِنْ هَذِهِ الْحِيلَةِ. فَلَا بَدَّ أَنْ تُفْصَلَ؛ لِقَطْعِ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ.

وَلِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ السَّنَةِ: الصَّوْتُ صَوْتُ الْقَارِي، وَالْكَلَامُ كَلَامُ الْبَارِي. أَيِ: الْمَكْفُوظَ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَمَّا اللَّفْظُ وَالْأَدَاءُ فَهُوَ كَلَامُ الْمَخْلُوقِ، صَوْتُهُ مَخْلُوقٌ، وَنُطْقُهُ مَخْلُوقٌ؛ وَلِهَذَا تَخْتَلِفُ الْقِرَاءَاتُ وَالْأَصْوَاتُ، بَعْضُهَا حَسَنٌ، وَبَعْضُهَا غَيْرُ حَسَنٍ، وَبَعْضُهَا جَيِّدٌ، وَبَعْضُهَا غَيْرُ جَيِّدٍ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّوْتَ مَخْلُوقٌ. وَالْقِرَاءُ يَخْتَلِفُونَ: بَعْضُهُمْ يُعْطَى صَوْتًا حَسَنًا، وَبَعْضُهُمْ يُعْطَى ذُوْنَ ذَلِكَ، أَمَّا كَلَامُ اللَّهِ —جَلَّ وَعَلَا— فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ.

وَمَا كَانَ يَنْبَغِي الدُّخُولُ فِي هَذَا، وَلَكِنْ هُمْ الَّذِينَ أَلْجَؤُوا الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذَا الشَّيْءِ، فَلَا بَدَّ مِنْ كَشْفِهِ وَبَيَانِهِ، فَهِيَ مُصِيبَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَيَّضَ لَهَا الْأَئِمَّةَ لَيَبْسُتُوهَا لَا تَبَسَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ هَذَا الْأَمْرُ.

فَمَذَاهِبُهُمْ إِذَا ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

الثَّانِي: مَذْهَبُ الْوَاقِفَةِ.

الثَّالِثُ: مَذْهَبُ اللَّفْظِيَّةِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

فَنَقُولُ لَهُمْ: لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ: فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ التَّلْفُظَ بِالصَّوْتِ فَهَذَا مَخْلُوقٌ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْمَلْفُوظَ بِهِ وَالْمَتَلَوَّ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «رَئَيْنَا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١)، فَيُطْلَبُ مِنَ الْقَارِئِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، وَكَانَ -ﷺ- يُعْجِبُهُ الصَّوْتُ الْحَسَنُ بِالْقُرْآنِ: كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ صَوْتًا حَسَنًا، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ لَهُ^(٢)، وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ، وَقَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»^(٣)، فَقَرَأَ عَلَيْهِ أَوَّلَ سُورَةِ النَّسَاءِ، فَهُوَ -ﷺ- يُجِبُّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ بِالْقُرْآنِ، وَالصَّوْتُ الْحَسَنُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي في «المجتبى» (١٧٩/٢) وابن ماجه (١٣٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢٨٣/٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٣/٢)، والدارمي (٥٦٥/٢)، والحاكم في «المستدرک» (٧٦/١)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٤٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٢٣٦) (٧٩٣) من حديث أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٨٢) ومسلم (٢٤٨) (٨٠٠) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله

[رُؤْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]

٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً

كَمَا الْبَذْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

الشرح:

تمهيد:

هَذِهِ مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، هَلِ الْخَلْقُ يَرُونَ اللَّهَ أَوْ لَا يَرُونَهُ؟
الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزَلَةُ كُلُّهُمَا يَنْفَوْنَ الرُّؤْيَةَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ
لِلْأَجْسَامِ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُ غَيْرُ جَسَمٍ، فَهُوَ لَا يُرَى! فَيَنْفَوْنَ الرُّؤْيَةَ بِنَاتَا فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وَهُنَاكَ قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. وَهَذَا قَوْلُ بَعْضِ
الصُّوفِيَّةِ.

وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ -وَهُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ-: أَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- يُرَى فِي الْآخِرَةِ،
يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١)، وَأَمَّا فِي
الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَا يُرَى؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ سُبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَمَّا طَلَبَ

(١) قَالَ ابْنُ أَبِي الْعَازِ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص ٢١٧)، ط. الرسالة: (وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثُ
الرُّؤْيَةِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا، وَمَنْ أَحَاطَ بِهَا مَعْرِفَةً يَقْطَعُ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَهَا...) اهـ.
وَقَالَ أَيْضًا (ص ٢١٥): (وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- الدَّالَّةُ عَلَى
الرُّؤْيَةِ فَمُتَوَاتِرَةٌ، رَوَاهَا أَصْحَابُ الصَّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسَّنَنِ).

وَانْظُرِ التَّعْلِيلَ التَّالِيَّ (ص ٨٠).

مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رُؤْيَا اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي الدُّنْيَا: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا جَعَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، الْجَبَلُ الصَّلْبُ صَارَ تُرَابًا مِنْ عَظْمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَكَيْفَ يُطِيقُ الْآدَمِيُّ رُؤْيَا اللَّهِ؟! هَذَا فِي الدُّنْيَا.

أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي أَهْلَ الْجَنَّةِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُونَ بِهَا أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ - عَزَّ وَجَلَّ - إِكْرَامًا لَهُمْ. لَمَّا آمَنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَرَوْهُ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ، فَتَجَلَّى لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لِيَتَلَذَّذُوا بِرُؤْيَا اللَّهِ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا حَجَبَهُمُ اللَّهُ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَنْهَى عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ، فَهَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَا رَبِّهِمْ، وَإِلَّا كَانَ الْكُفَّارُ وَالْمُؤْمِنُونَ سَوَاءً فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ، وَأَكْرَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ يَتَجَلَّى لَهُمْ، أَيْ: يَظْهَرُ لَهُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَيَرَوْنَهُ عَيْنَانِ بِأَبْصَارِهِمْ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَا اللَّهِ وَلَا يَتَضَامُونَ، يَعْنِي: لَا يَتَزَاحَمُونَ لِرُؤْيَا اللَّهِ، يَرَوْنَهُ عَيْنَانِ بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صُخْرًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَهَذَا تَشْبِيهُ لِلرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَا لَا الْمَرِيءِ بِالْمَرِيءِ؛ كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

والله - جلّ وعلا - يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعْتَيْنِ زِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]،
الحُسْنَى هي: الجنة، والزِّيَادَةُ هي: النَّظَرُ إلى وجه الله؛ كما في صحيح مُسلم^(١).
وكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾:
في الجنة، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: وهو رُؤْيُ اللهِ - جلّ وعلا -.

وكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] مِنَ النَّضَرَةِ وهي
الْبَهْجَةُ، ﴿إِلَّا رِيَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بِأَبْصَارِهَا؛ لَأَنَّ النَّظَرَ إِذَا عُدِّي بِ (إِلَى)
فَمَعْنَاهُ الْمُعَايَنَةُ بِالْبَصَرِ، وَإِذَا عُدِّي بِنَفْسِهِ (يَنْظُرُونَ) فَمَعْنَاهُ التَّوَقُّفُ وَالْإِنْتِظَارُ، وَإِذَا
عُدِّي بِ (فِي)؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
[الأعراف: ١٨٥]، فَمَعْنَاهُ التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ.

فَتَلَخَّصَ مِنْ هَذَا أَنَّ النَّظَرَ:

- ١- إِنْ عُدِّي بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: الْإِنْتِظَارُ.
 - ٢- وَإِنْ عُدِّي بِ (فِي) فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ.
 - ٣- وَإِنْ عُدِّي بِ (إِلَى) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ^(٢).
- هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) انظر مبحث تعدي النظر ب (في) و (إلى) ومعناه في «شرح ابن أبي العز على الطحاوية»
(ص ٢٠٩). وقال قبلها: (وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة
(إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه صريح
في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله) اهـ.

والآية التي معنا مُعَدَّاةٌ بـ (إلى): ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾: فهذا مُعَايَنَةٌ بِالْأَبْصَارِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَالْإِدْرَاكُ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ، أَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ وَتُبْصِرُهَا، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُهَا، يَعْنِي: لَا تُحِيطُ بِهَا، فَلَا تُحِيطُ بِالْمَرْئِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ. فَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُونَهُ، أَي: لَا يُدْرِكُونَ عَظَمَتَهُ -جَلَّ وَعَلَا-، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا. وَأَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ، وَلَكِنْ لَا تُحِيطُ بِجُرْمِهَا وَحُدُودِهَا، وَهَذَا فِي الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! فَتَقْيُ الْإِدْرَاكِ غَيْرُ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، بَلْ قَالُوا: إِنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَى، وَلَكِنَّهُ لَا يُدْرِكُ، يَعْنِي: لَا يُحَاطُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَوْلُ اللَّهِ لِمُوسَى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] لَيْسَ مَعْنَاهُ النِّفْيُ الْمُؤَبَّدُ، بَلْ ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾: يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا، بِدَلِيلِ أَنَّ الرُّؤْيَةَ ثَبَتَتْ فِي الْآخِرَةِ. وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلِمَةَ (لَنْ) لَيْسَتْ لِلنِّفْيِ الْمُؤَبَّدِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلنِّفْيِ الْمُؤَقَّتِ.

وَقَوْلُ النَّاطِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (يَتَجَلَّى): يَعْنِي يَظْهَرُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَيَكْشِفُ الْحِجَابَ عَنْهُ -جَلَّ وَعَلَا-.

وَقَوْلُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى): هَذَا مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(١)، لَيْلَةُ الْبَدْرِ هِيَ: لَيْلَةُ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي

الله عنه. ورواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: =

الخامس عشر أو الرابع عشر، وهي ليالي الإبدار، وفيها تمام القمر؛ لأنَّ القمر يَهْلُ أول الشهر ضعيفاً، ثم يزيدُ إلى أن يتكامل في ليالي الإبدار، ثم يأخذُ في النقص إلى أن يصير هلالاً، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، العرجون: هو عذْق النخلة الذي تروته مُنْحِنياً إذا يبس، فالهلال يكونُ على شكل العرجون القديم.

= «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ...». ورواه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١) ومسلم (٢١٠) (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (إنكم سترون ربكم...).

٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَائِدٍ

وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ

الشرح:

هَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ③﴾، وَاسْمُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهَا خُلِّصَتْ بِالتَّوْحِيدِ.

وَالْقُرْآنُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

- ١- إِمَّا تَوْحِيدٌ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ.
 - ٢- وَإِمَّا أَوْامِرٌ وَنَوَاهٍ، وَهِيَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ.
 - ٣- وَإِمَّا أَخْبَارٌ عَنِ الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.
- فَهَذِهِ السُّورَةُ خُلِّصَتْ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فِيهِ فِي التَّوْحِيدِ؛ وَلِذَلِكَ صَارَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي الْفَضْلِ^(١)؛ لِأَنَّهَا خُلِّصَتْ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠١٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً بِلَفْظٍ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ...)، وَ (٥٠١٥): «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَسَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: «أَيُنَاطِقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ...».

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٦٢) (٨١٢): «أَقْرَأَ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟!» وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٥٩) (٨١١): «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ...».

بتوحيد الله - عز وجل -، هذا وجه تسميتها بسورة الإخلاص.

وفيها نفى وإثبات، نفى النقائص عن الله، وإثبات الكمالات له - جل وعلا -:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: هذا إثبات، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: هذا إثبات.

﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: هذا نفى. فنفى عنه النقص، وأثبت له الكمال.

قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾: يعني: هو واحد لا شريك له في ربوبيته، ولا في إلهيته، ولا في أسمائه وصفاته. فهو واحد في أنواع التوحيد الثلاثة.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: أي: الذي تَصَمَّدُ له الخلائق، وتطلب منه حوائجها.

ثم نفى، فقال: ﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾: يعني: ليس له ولد، فهو - سبحانه - منزّه عن الولد.

وهذا رد على الذين أثبتوا الولد لله، وهم:

- النصارى، حيث قالوا: المسيح ابن الله.

- ورد على اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله.

- ورد على المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوا لله البنات وهم

يَكْرَهُونَهُنَّ، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]، فهم يكرهون البنات، فكيف يجعلونها لله - جل وعلا -؟ قال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [النحل: ٦٢]، وقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ

أَلْبَتُونَ ﴿[الطور: ٣٩]، أي: تَجْعَلُونَ لَهُ الْبَنَاتِ وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْبَنَاتِ، ﴿وَلَكُمْ أَلْبَتُونَ﴾: وَتَخْتَصُّونَ بِالْبَنِينَ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْفُسْطَىٰ﴾ [النحل: ٦٢].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]؛ لأنَّ الولدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ. فَهُمْ شَبَّهُوا اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- بِالْمَخْلُوقِينَ، وَجَعَلُوا لَهُ الْوَلَدَ، وَهُوَ مَنْزَعٌ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]: الْمَرْأَةُ تُنشِئُ فِي الْحِلْيَةِ؛ لِأَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى حُلْيٍّ، فَهِيَ نَاقِصَةٌ، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: عِنْدَمَا تَحْصُلُ خُصُومَةٌ وَمُنَاقَشَةٌ تَضْعُفُ الْمَرْأَةَ، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخَاصِمَ عَنْ نَفْسِهَا؛ وَلِذَلِكَ فِي الْغَالِبِ تُوكِّلُ مَنْ يُخَاصِمُ عَنْهَا.

وقال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ﴾: يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ! ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

فَالْمُشْرِكُونَ وَصَفُوا اللَّهَ بِأَنَّ لَهُ الْبَنَاتِ، وَالنَّصَارَى وَصَفُوا اللَّهَ بِأَنَّ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩]، فَعِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ، وَلَيْسَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوكِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] لَا بِدَايَةٍ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كَمَا أَنَّهُ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ

شَيْءٌ»^(١)، هَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- فَهُوَ أَوَّلُ بِلَا بَدَايَةٍ، دَائِمٌ بِلَا نِهَايَةٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: هَذَا نَفْيٌ لِلشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ شَبِيهُ لَوَالِدِهِ وَشَرِيكٌ لَهُ، وَأَيْضاً الْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْحَاجَةِ، وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مُنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]، فَهُوَ غَنِيٌّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَنْ الْوَلَدِ، أَمَّا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ بِحَاجَةٍ لِلْوَلَدِ، فَإِلْإِنْسَانُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَوْلَادٌ يَكُونُ عِنْدَهُ عَجْزٌ وَضَعْفٌ، وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَوْلَادِ لِيَسَاعِدُوهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ﴾: هَذَا نَفْيٌ لِلْبَدَايَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: الْكُفُوُ: مَعْنَاهُ: الشَّبِيهُ وَالْمَثِيلُ، فَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- لَيْسَ لَهُ شَبِيهُ وَلَا مَثِيلٌ، أَي: لَا أَحَدٌ يُكَافِئُهُ -سُبْحَانَهُ- أَوْ يُسَاوِيهِ أَوْ يُشَابِهُهُ أَوْ يُمَازِلُهُ أَبَدًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فَهَذَا نَفْيٌ لِلْمَثِيلِ وَالشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أَي: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يُسَاوِيهِ -سُبْحَانَهُ- وَيُسَامِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟! وَلَيْسَ مَعْنَاهُ لَا يَتَسَمَّى أَحَدٌ بِاسْمِهِ؛ كَالْمَلِكِ وَالْعَزِيزِ.

فَقَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ): هَذَا مَا خُوذُ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، الَّتِي فِيهَا: إِثْبَاتُ الْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَنَفْيُ

(١) أخرجه مسلم (٦١) (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ، وَنَفْيُ الْمُشَابَهَةِ وَالْمِثْلِيَّةِ لَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ.

[إنكار الجهمية رؤية العباد لربهم]

٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا، وَعِنْدَنَا

بِمُضْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَرِّحٍ

٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ

فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

الشرح:

قَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ رُؤْيَا اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي الْآخِرَةِ، وَلَا مُسْتَنَدَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَنَحْنُ عِنْدَنَا فِي إِبْطَابِ الرُّؤْيَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ مِنْ رِوَايَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ سَاقَهَا ابْنُ الْقِيمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي كِتَابِ «حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ»^(١)، وَهُوَ كِتَابٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَوْصَافِهَا وَمَا فِيهَا. وَقَدْ ذَكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ، وَأَوْرَدَ الْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ فِيهَا بِسِيَاقَاتِهَا وَأَسَانِيدِهَا وَرَوَاتِهَا.

قَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (رَوَاهُ جَرِيرٌ) ^(٢): هُوَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ

(١) انظر «حادي الأرواح» -الباب الخامس والستون (ص ١٩٦) ط. دار الكتب العلمية، قال ابن القيم -رحمه الله-: «هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقربها عيناً لأهل السنة والجماعة، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون».

(٢) سبق ذكره في تخريج أحاديث الرؤية (ص ٨٢).

رضي الله عنه وهو من جُملة الرّواة من الصّحابة، وإلا فقد رَوَاهُ غَيْرُهُ من الصّحابة، فالنّاظِم - رحمه الله تعالى - أراد أن يُمثّل فحسب.

(عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ): أَي: يَرْوِيهِ جَرِيرٌ مِنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ): قُلْ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ تَنْجَحُ. وَلَا تُخَالَفُ

قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ فَتَخْسَرُ، فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤١﴾ [النجم: ٤]، فَقَوْلُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حَقٌّ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكٌّ.

[مذهب الجهمية في يدي الله عز وجل]

١٠ - وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضاً يَمِينَهُ

وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

الشرح:

الْجَهْمِيُّ: هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى مَذْهَبِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، الَّذِي أَخَذَ مَذْهَبَهُ عَنْ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ.

وقول الناظم - رحمه الله تعالى -: (وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ): يَعْنِي: أَتْبَاعُ الْجَهْمِ يَنْكُرُونَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَهَذَا مِنْ مَذْهَبِ الْخَبِيثِ، وَإِلَّا فَلَهُ مَذْهَبٌ قَبِيحٌ فِي عِدَّةٍ مَسَائِلَ، وَمِنْهَا إِنْكَارُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وقوله: (وَقَدْ): هَذِهِ لِلتَّحْقِيقِ، مِثْلُ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]، (قَدْ) تَأْتِي لِلتَّحْقِيقِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَتَأْتِي لِلتَّقْلِيلِ، مِثْلُ: قَدْ يَجُودُ الْبَحِيلُ، هَذِهِ لِلتَّقْلِيلِ.

وهي هُنَا لَيْسَتْ لِلتَّقْلِيلِ إِنَّمَا هِيَ لِلتَّحْقِيقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: ١٨]، هَذِهِ لِلتَّحْقِيقِ.

قوله: (أَيْضاً): أَي: كَمَا أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ -عزَّ وجلَّ- فَإِنَّهُ -أَيْضاً- يُنْكِرُ إِبْطَاتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ -عزَّ وجلَّ-.

والله -جلّ وعلا- له صفات ذاتية مثل: الـيـدين، والـوـجـه، والـقـدـمـين، والأصابع، وله صفات فعلية مثل: التـزـول، والـاسـتـواء، والـكـلام، والـخـلق.

فكلّ ما جاء الدليل بإثباته لله من صفات الذات فإننا نثبت لله -عزّ وجلّ- خلافاً للمعطلة الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وعلى رأسهم الـجـهـمـية، وخلافاً للممثلة الذين يغفلون في الإثبات، حتّى يشبّها صفات الله بصفات خلقه، فهم على طرفي نقيض، فهؤلاء غلّوا في التـنـزيـه حتّى نفوا أسماء الله وصفاته، وهؤلاء غلّوا في الإثبات حتّى شبّها الله بخلقهم.

وأهل السنة والجماعة وسط بين الفريقين، فيثبتون لله ما أثبت له لنفسه من صفات الذات وصفات الأفعال، خلافاً للمعطلة، إثباتاً بلا تمثيل، خلافاً للمشبّهة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: هذا ردّ على الممثلة.

وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: هذا ردّ على المعطلة.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

والله -جلّ وعلا- له صفات ذاتية، وله صفات فعلية؛ كالاستواء، والتزول، والخلق، والرّزق، والكلام، كلّ ذلك من صفات أفعاله سبحانه وتعالى.

ومن صفاته الذاتية: الـيـدان، وقد جاء إثباتهما في كلام الله -عزّ وجلّ- وفي سنة رسول الله ﷺ:

كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى:

﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّٓ﴾ [ص: ٧٥] يعني: آدم عليه السلام.

وفي الحديث: «يُدُّ اللهُ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(١). وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي فيها إثبات اليدين، واليد لله - عز وجل - على معناهما المعروف في اللغة.

فهُمَا يَدَانِ حَقِيقَتَانِ، لَكِنْ لَيْسَتَا كَيْدَيْنِ الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ هُمَا يَدَانِ تَلْيِقَانِ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُمَا إِلَّا اللهُ - جلَّ وعلا -.

فَنَحْنُ نُنَبِّئُهُمَا عَلَى مَعْنَاهُمَا الْحَقِيقِيَّ، وَنَنْفِي عَنْهُمَا التَّمَثِيلَ وَالتَّشْبِيهَ، فَلَا يُشَبَّهَانِ يَدَيِ الْمَخْلُوقِ. هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَمْثِيلاً عَلَى كِتَابِ اللهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، شَأْنُهُمْ فِي ذَلِكَ شَأْنُهُمْ فِي بَقِيَّةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لله - عز وجل -.

أَمَّا أَهْلُ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْيَدَيْنِ عَنِ اللهِ - جلَّ وعلا - كَمَا يَنْفُونَ عَنْهُ سَائِرَ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُمْ يُؤَوِّلُونَ الْيَدَ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ، أَوْ بِمَعْنَى النُّعْمَةِ.

يُؤَوِّلُونَهَا بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ، فَيَقُولُونَ: مَعْنَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ﴾: أَي: بِقُدْرَتِي! فيقال لهم: اللهُ - جلَّ وعلا - ذَكَرَ الْيَدَيْنِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، فَهَلِ اللهُ - جلَّ وعلا - لَهُ قُدْرَتَانِ أَوْ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ؟!

فَلَا يُوجَدُ إِلَّا جَوَابٌ وَاحِدٌ، هُوَ: أَنَّ اللهَ لَهُ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا يَصَحُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ قُدْرَتَانِ.

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤)، (٧٤١٩) ومسلم (٣٦) (٩٩٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي لفظ لمسلم (٣٧) (٩٩٣): «ويده الأخرى القبض يرفع ويخفض».

وفي قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: هل يُقَالُ مَعْنَاهُ بِقُدْرَتِي؟! لا أَحَدٌ يَقُولُ هذا.

وَأَمَّا تَأْوِيلُهَا بِالنِّعْمَةِ؛ فَكَأَن تَقُولَ: لَكَ يَدٌ عِنْدِي. أَي: لَكَ نِعْمَةٌ عِنْدِي!

فَإِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ: مَعْنَى ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: بِنِعْمَتِي!

يُقَالُ لَهُ: هَلِ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- لَيْسَ لَهُ إِلَّا نِعْمَتَانِ فَحَسْبُ، أَمْ أَنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟!

ثُمَّ -أَيْضاً- لَا فَرْقَ بَيْنَ آدَمَ وَغَيْرِهِ إِذَا فُتِّرَ الْيَدُ بِالْقُدْرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا مَزِيَّةَ لآدَمَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مِيزُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. فَهَذَا وَجْهُ الرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ.

وَأَمَّا الْمُثَلَّةُ فَيَرِدُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وَالنَّدُّ: هُوَ الشَّبِيهُ وَالْمَثِيلُ، فَتَهَى أَنْ نَجْعَلَ لِلَّهِ أَشْبَاهًا وَأَمْثَالًا مِنْ خَلْقِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَاللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

فَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ فِي مَسْأَلَةِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَهَذَا الرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْوَلَوْهُ، وَمَذْهَبُ الْمُثَلَّةِ وَالْمُشَبَّهَةِ -أَيْضاً- وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَجَاءَ لَفْظُ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»^(١)، فَهِيَ شِمَالٌ بِمَعْنَى الْيَمِينِ؛ وَذَلِكَ تَنْزِيهًا لِيَدِهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ التَّنْقِصِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَ السَّامِعُ إِثْبَاتَ الشَّمَالِ لِلَّهِ فَرَبَّمَا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهَا مِثْلُ شِمَالِ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ يَدَ الْمَخْلُوقِ الشَّمَالُ لَيْسَتْ مِثْلَ الْيَمِينِ، بَلْ أَتَقَصُّ، وَالشَّمَالُ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- لِإِزَالَةِ الْأَذَى وَالتَّنْظِيفِ، وَأَمَّا الْيَمِينُ فَهِيَ لِمَا يُسْتَطَابُ، وَالْأَخْذُ وَالْإِعْطَاءُ، وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَإِذَا سَمِعَ السَّامِعُ إِثْبَاتَ الشَّمَالِ لِلَّهِ، رَبَّمَا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهَا أَتَقَصُّ مِنَ الْيَمِينِ كَمَا فِي الْمَخْلُوقِ، فَالْنَبِيُّ ﷺ نَفَى هَذَا التَّوَهُّمَ، وَقَالَ ﷺ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَكِلْنَا يَدَيْهِ): أَيُّ: يَدَيِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

(بِالْفَوَاضِلِ): أَيُّ: بِالْعَطَاءِ وَالتَّعَمُّقِ.

(تَنْفُخُ): يَعْنِي: تُعْطَى الْخَلْقُ، وَتُؤَمِّدُهُمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «يَدُهُ مَلَأَتْ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَلَمْ تَرَوْا مَا أَتَّفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ»^(٢)، فَهُوَ -جَلَّ وَعَلَا- يُعْطَى الْعَطَاءَ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، يُعْطِيهِ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ لِعِبَادِهِ.

هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَكِلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ) أَيُّ: بِالْعَطَايَا وَالْأَفْضَالِ مِنَ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: (تَنْفُخُ): يَعْنِي: مُسْتَمِرَّةٌ فِي الْعَطَاءِ الَّذِي لَا يَتَقَطَّعُ مِنَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَغْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨) (١٨٢٧) كِتَابُ الْإِمَارَةِ.

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ (ص ٩٢).

وَالْيَهُودُ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - لَمَّا وَصَفُوا اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - بِالْبُخْلِ وَقَالُوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، [المائدة: ٦٤]، فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، يَعْنِي بِالْجُودِ وَالْعَطَاءِ وَالْكَرَمِ.

[مَسْأَلَةُ نَزُولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ

بِلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

الشرح:

(وَقُلْ) يعني: قُلْ أَيُّهَا السُّنِّيُّ -الذي تَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قُلْ وَلَا تَتَرَدَّدْ..
قَوْلُ النَّازِمِ -رحمه الله تعالى-: (يَنْزِلُ الْجَبَّارُ): يَنْزِلُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- إِلَى
السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

(فِي كُلِّ لَيْلَةٍ): لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِرَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-
وَمَا يَلِيْقُ بِهِ، فَقُلْ مَا قَالَه الرَّسُولُ ﷺ، وَأَثْبِتِ النُّزُولَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالنُّزُولَ مِنْ
صِفَاتِ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَفْعَلُهَا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ مَتَى شَاءَ.
وَهَذَا النُّزُولُ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، رَوَاهَا جَمَاعَاتٌ مِنْ
الصَّحَابَةِ^(١)، وَهُوَ فِي الصَّحَاحِ.

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رحمه الله تعالى- فِي شَرْحِ حَدِيثِ النُّزُولِ مِنْ «مَجْمُوعِ
الْفَتَاوَى» (٥/ ٤٧٠): (وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، كَمَا ذَكَرْنَا
قَبْلَ هَذَا، فَهُوَ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ). وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «الصَّوَاغِقِ الْمُرْسَلَةِ»،
ط. دَارُ الْعَاصِمَةِ، (١/ ٣٨٧): (إِنهَا وَرَدَتْ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا) أَه.
وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْعُلُو»، ط: أَضْوَاءُ السَّلَفِ، (ص ١٠٠): (وَقَدْ أَلْفَتْ أَحَادِيثُ النُّزُولِ فِي
جُزْءٍ، وَذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ أَقْطَعُ بِهِ).

وَانْظُرْ: «كِتَابُ التَّوْحِيدِ» لِابْنِ خَزِيمَةَ (١/ ٢٩١-٣٢٧) حَيْثُ أَوْرَدَ جُمْلَةً كَبِيرَةً مِنْهَا.

وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مؤلفاً مستقلاً في شرح حديث النزول، وهو مطبوعٌ مفردٌ، وطبع مع المجموع، بعنوان: «شرح حديث النزول».

فوجب إثبات النزول لله، كما أثبت له رسوله ﷺ، وأنه ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، وهذا يدمغ المعطلة؛ لأنه متواتر؛ لأن من عادتهم أن يقولوا: هذا حديث آحاد لا يفيد العلم! ولكن هذا ليس لهم فيه حيلة؛ لأنه متواتر عن النبي ﷺ.

وهذا النزول مثل سائر صفاته - جلّ وعلا - ليس مثل نزول المخلوق، وإنما هو نزول الجبار - جلّ وعلا - كما يليق بجلاله، ولا نعلم كيفيته، وإنما ثبتته كما جاء، مؤمنين به، لا تتأولوه، ولا تعطّله، ولا تُمثّله بنزول المخلوق عن المخلوق، فهو نزول يليق بعظمة الله - جلّ وعلا -.

ولأنه حديث متواتر، لا حيلة لهم فيه، أخذوا يشرّقون ويغربون، يريدون التخلّص منه: فقالوا: «ينزل» يعني: ينزل أمره!

فيقال لهم: الحديث فيه أنه يقول: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ»، «هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟»^(١)، فهل (الأمر) يقول: مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فهذا باطل، وإنما الذي يقول هذا هو الله - سبحانه وتعالى -.

وقالوا: «يَنْزِلُ رَبَّنَا»: يعني: ينزل ملك من الملائكة!

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (١٦٨) (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله

وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلِ الْمَلِكُ يَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؟! هَلِ مِنْ تَائِبٍ فَاتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلِ هَذَا يَصْدُرُ مِنَ الْمَلِكِ أَوْ يَصْدُرُ مِنَ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟
الجواب: هَذَا مِنَ الرَّبِّ -جَلَّ وَعَلَا-.

فَلَيْسَ الْمُرَادُ يَنْزِلُ أَمْرُهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَالْمَلَكَ لَا يَقُولَانِ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ.

وَنَظَرًا لِدَوْرَانِ الشَّمْسِ حَوْلَ الْأَرْضِ، قَالُوا -أَيْضًا-: كَيْفَ يَنْزِلُ وَاللَّيْلُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَقْطَارِ؟! فَالشَّمْسُ تَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ، وَيَكُونُ نِصْفُ الْأَرْضِ فِي نَهَارٍ وَنِصْفُهَا الْآخَرُ فِي لَيْلٍ، فَيَكُونُ عِنْدَنَا نَهَارٌ وَعِنْدَ الْآخَرِينَ لَيْلٌ، وَالْعَكْسُ.

نَقُولُ: هَذَا لَا تَدْخُلُ فِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَالَّذِي سَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَجَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ يَنْزِلُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَنَحْنُ نُثَبِّتُ النُّزُولَ وَلَا نَتَعَرَّضُ لِلْكِيفِيَّةِ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ يَنْزِلُ وَثُلُثُ اللَّيْلِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَقَالِيمِ؟! بَلْ نَقُولُ: هَذَا إِذَا كَانَ نُزُولُ الْمَخْلُوقِ، أَمَّا نُزُولُ الْخَالِقِ فَهُوَ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

قَالُوا: النُّزُولُ يَلْزِمُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالْإِنْتِقَالُ، فَهَلِ اللَّهُ يَنْتَقِلُ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَتَحَرَّكُ؟

نَقُولُ: هَذَا بَحْثٌ عَنِ الْكِيفِيَّةِ، وَنَحْنُ نَقُولُ: يَنْزِلُ كَمَا يَشَاءُ لَا نَعْلَمُ الْكِيفِيَّةَ. اللَّهُ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَا نَخْوَضُ فِي هَذَا.

فَنَحْنُ نُثَبِّتُ النُّزُولَ -كَمَا جَاءَ- كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، نُثَبِّتُهُ

وَتُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى وَسَاوِسِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَدْرِكُونَ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ كَانَتْهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ النُّزُولَ لَا يَلِيقُ بِكَ يَا رَبَّنَا؛ لِأَنَّهُ كَذَا وَكَذَا، فَهُمْ يَسْتَدْرِكُونَ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَيَسْتَدْرِكُونَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ؛ كَانَتْهُمْ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

هَذَا فِيهِ سُوءُ آدَبٍ مَعَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - اللَّهُ يُثَبِّتُ النُّزُولَ وَهُمْ يَنْفَوْنَهُ، وَيَقُولُونَ: يَلْزُمُ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ اللَّوَاظِمِ الْبَاطِلَةِ عِنْدَهُمْ!

وَقَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (الْجَبَّارُ) أَيُّ: اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -، مِنْ أَسْمَائِهِ الْجَبَّارُ.

وَالْجَبَّارُ لَهُ مَعَانٍ:

- ١ - الْجَبَّارُ بِمَعْنَى: الَّذِي يَجْبُرُ عِبَادَهُ الْمُنْكَسِرِينَ.
- ٢ - وَالْجَبَّارُ بِمَعْنَى: الَّذِي تَجْرِي أَحْكَامُهُ الْقَدْرِيَّةُ عَلَى عِبَادِهِ، دُونَ أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْهَا، فَأَحْكَامُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الْقَدْرِيَّةُ لَا رَادَّ لَهَا، وَلَا مُعَقَّبَ.
- ٣ - وَالْجَبَّارُ مِنْ مَعَانِيهِ اللَّغَوِيَّةِ: الْعَالِي الْمُرْتَفِعِ، وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فَوْقَ عِبَادِهِ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَقِيرُ ﴿[الأنعام: ١٨]﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَرُسُلُ عَلَيْهِمْ حَفَظَةٌ ﴿[الأنعام: ٦١]﴾.

وَقَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ): كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ، يَعْنِي: لَا نَدْرِي عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّزُولِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا يَلْزُمُ مِنْهُ هَذِهِ اللَّوَاظِمُ الَّتِي أوردَهَا الْمُعْطَلَةُ وَالْمُمَثَّلَةُ وَالْمُشَبَّهَةُ؛ لِأَنَّا لَا نَبْحَثُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَالْخَلْقُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، فَلَا

يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ، وَلَا كَيْفِيَّةَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَيُبَاهِي بِعِبَادِهِ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقُولُ: «انْظُرُوا إِلَيَّ عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ»^(١).

هَذَا - أَيْضًا - نَوْعٌ آخَرُ مِنَ النَّزُولِ، يَنْزِلُ رَبُّنَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ كَمَا أَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي السَّنَةِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ - سُبْحَانَهُ - وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ.

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (جَلَّ): يَعْنِي تَعَاظَمَ قَدْرُهُ وَشَأْنُهُ عَنْ أَنْ نَكَيْفَ أَوْ نَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمِنْهَا النَّزُولُ، فَتَحْنُ تُثَبِّتُ النَّزُولَ وَلَا نَبْحُثُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ؛ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ، فَالنَّزُولُ مَعْلُومٌ وَأَمَّا الْكَيْفُ فَهُوَ مَجْهُولٌ؛ كَمَا قَالَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي الْاِسْتِوَاءِ: «الْاِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»^(٢)، وَهَذَا فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

- قَوْلُهُ: (الْوَاحِدُ): الْوَاحِدُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْيَالِهِ، وَلَا فِي عِبَادَتِهِ - جَلَّ وَعَلَا -.

- قَوْلُهُ: (الْمُتَمَدِّحُ): أَيِ: الْمُتَصِفُ بِصِفَاتِ الْمَدْحِ وَالْكَمَالِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٠٥ / ٢)، وَابْنُ حِبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٨٥٢) (١٦٣ / ٩)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٨٩٩٣) (١٦ / ٩)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣٠٥ / ٣)، وَأَبُو يَعْلَى (٢٠٩٠)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «السِّنَنِ الْكَبِيرِ» (٥٨ / ٥)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٦٥ / ١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انْظُرْ: «الْإِسْتِوَاءُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ» لِلدَّارِمِيِّ (ص ٣٣) ط. المَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ، وَ«اعْتِقَادُ أَهْلِ السَّنَةِ» لِللَّكَاثِيِّ (٩٢٨) (٥٢٧ / ٣).

١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ

فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا

وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ

الشرح:

قول الناظم -رحمه الله تعالى-: (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا): أي: يَنْزِلُ إِلَى الطَّبَقِ الْأَدْنَى مِنَ السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ سَبْعٌ طَبَاقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَبِهَتُوا﴾ [نوح: ١٥]: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَنْزِلُ -جَلَّ وَعَلَا- كَيْفَ يَشَاءُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَعْنِي: السَّمَاءَ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ.

قول الناظم -رحمه الله تعالى-: (يَمُنُّ بِفَضْلِهِ): فيقول سبحانه: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟»، هَذَا مَنْ وَفَضَّلَ مِنْ اللَّهِ، وَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟»، كُلُّ هَذَا مِنْ فَضْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَعْرِضُ عَلَى عِبَادِهِ كَرَمَهُ وَجُودَهُ.

وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُومَ آخِرَ اللَّيْلِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَأَنْ يَكُونَ مُسْتَيِّقًا يُصَلِّي وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُ، فَإِنَّهُ وَقْتُ قَبُولِ الدُّعَاءِ، وَلَا يَنَامُ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَيَحْرِمُ نَفْسَهُ، كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَحْرُومِينَ الَّذِينَ يَسْهَرُونَ اللَّيْلَ، فَإِذَا صَارَ آخِرُ اللَّيْلِ نَامُوا حَتَّى عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ الْفَرِيضَةِ هَذَا جُرْمَانُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ. فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنَامَ مُبَكَّرًا وَيَعُودَ نَفْسَهُ -إِنَّمَا الشَّيْءُ بِالْإِعْتْيَادِ- لِأَجْلِ أَنْ

يَقُومُ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِذَا عَوَّدَ نَفْسَهُ هَذَا تَعَوَّدْتُ، أَمَّا إِذَا عَوَّدَهَا الْكَسَلَ وَالنَّوْمَ فَإِنَّهُ يَنْقُلُ عَلَيْهَا حَتَّى الْقِيَامُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ لَا تَفُوتَهُ هَذِهِ الْفُرْصَةُ، وَهَذَا النَّدَاءُ الْإِلَهِيُّ، وَأَنْ يَكُونَ حَاضِرًا، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، وقال: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فالاستغفارُ وَقْتُ السَّحْرِ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رحمه الله تعالى-: (فَتَفْرُجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ)، يَعْنِي: تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْإِجَابَةِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَضْحَوْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ وَيَسْأَلَ، فَإِنَّ أَبْوَابَ الْإِجَابَةِ مَفْتُوحَةٌ لَهُ، فَهِيَ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رحمه الله تعالى-: (يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا):
(أَلَا): أَدَاءُ تَنْبِيهِ، يَعْنِي: تَنْبِيهُوا لِمَا سَيُقَالُ.

(يَلْقَى غَافِرًا): مَاخُذُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

قَوْلُ النَّازِمِ -رحمه الله تعالى-: (وَمُسْتَمْنِعٌ خَيْرًا): يَعْنِي: مَنْ يَطْلُبُ الْمَنْحَ، وَهُوَ الْعَطَاءُ، مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مِمَّا يَشَاءُ مِنَ الْخَيْرِ، وَالرِّزْقِ، وَأَيَّ حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِهِ وَحَوَائِجِ النَّاسِ تَخْتَلِفُ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ أَيَّ حَاجَةٍ لَهُ فِيهَا خَيْرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا.

وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- قَرِيبٌ مُّجِيبٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَكِنْ تَوْجِدُ أَوْقَاتٌ لَهَا خَاصِّيَّةٌ تَكُونُ الْإِجَابَةُ فِيهَا أَكْثَرَ؛ مِثْلُ هَذَا الْوَقْتِ، وَمِثْلُ السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، كَمَا تَوْجَدُ أَحْوَالٌ تَكُونُ الْإِجَابَةُ فِيهَا أَقْرَبَ مِثْلُ حَالِ

السُّجُود؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١)، وَمِثْلُ
حَالِ السَّفَرِ: «يُطِيلُ السَّفَرُ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ...»^(٢)، وَمِثْلُ حَالِ الصَّرُورَةِ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فَتُوجَدُ أَوْقَاتٌ وَأَحْوَالٌ تَكُونُ
الْإِجَابَةُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- يَغْفِرُ وَيُعْطِي، وَيَسْمَعُ
الدُّعَاءَ، وَيُجِيبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ): فَكَيْفَ يَصُدُّ الْإِنْسَانُ عَنْ
هَذَا وَيَنَامُ؟! مَاذَا يَسْتَفِيدُ مِنْ فُضُولِ النَّوْمِ؟! كَيْفَ يَغْفُلُ وَيَلْهُو مَعَ الْفَضَائِلَاتِ
وَالْإِنْتِرَافَاتِ، وَيَجْلِسُ مَأْسُورًا شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا يَتَحَرَّكُ مَعَ هَذَا الصَّنَمِ الْخَبِيثِ،
وَلَا يَمَلُّ وَلَا يَتَعَبُ، وَيُعْرِضُ عَنْ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يُعْرِضُ عَنْ هَذَا الْخَيْرِ
الكَثِيرِ الَّذِي هُوَ بِأَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؟! فَإِنَّهُ لَا غِنَى بِهِ عَنِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- طَرَفَةً
عَيْنٍ، فَكَيْفَ يُعْرِضُ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذَا وَلَا يَتَنَبَّهُ لَهُ؟!

أَوْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ فَيُكَذِّبُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- بِهَذَا
النُّزُولِ وَيَنْفِيهِ، وَيَتَهَاوَنُ بِهِ! هَذَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي يُعْرِضُ وَلَا يَنْفِي، وَلَكِنَّهُ يُعْرِضُ
وَلَا يَتَنَبَّهُ لَهُ. وَلَوْ أَنَّ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ فِيهِ تَوْزِيعُ نُقُودٍ، أَوْ تَوْزِيعُ دَرَاهِمٍ، أَوْ فُتْحُ فِيهِ
بَابٌ مُسَاهِمَةٌ فِي شَرَكَةٍ، وَالنَّاسُ يَرْجُونَ فِيهَا الرِّبْحَ، أَلَا تَرَوْنَ مَا النَّاسُ صَانِعُونَ؟
أَلَيْسُوا يُغَامِرُونَ؟

بَلْ حَدَّثَ أَنَّ قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الرِّحَامِ لَطَلَبِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الَّتِي قَدْ

(١) أخرجه مسلم (٢١٥) (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥) (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تَحْصُلُ وَقَدْ لَا تَحْصُلُ، وَإِنْ حَصَلَتْ رَبَّمَا تَكُونُ شَرًّا وَوَبَالًا عَلَى صَاحِبِهَا، وَرَبَّمَا تَكُونُ هَذِهِ الْمُسَاهَمَةُ مُحَرَّمَةً يَدْخُلُهَا الرَّبَا، وَرَبَّمَا تَكُونُ مِنَ الْمَيْسِرِ وَالْقِمَارِ، وَمَعَ هَذَا يَتَنَافَسُونَ عَلَيْهَا، وَيَقْتَتِلُونَ، وَيَأْتُونَ مُبَكِّرِينَ قَبْلَ الْبِدَاءِ بَزْمِنٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ قَرِيبًا مِنْ مَحَلِّ الْعَرْضِ، وَلَا يَكُونُ بَعِيدًا!

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا فَكَيْفَ يُعْرَضُ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِحَامٍ، وَهُوَ مَضْمُونُ الْخَيْرِ لَيْسَ فِيهِ غَائِلَةٌ، وَلَيْسَ فِيهِ زِحَامٌ، وَلَا مُنَافَسَاتٌ، وَلَا أَصْوَاتٌ، وَلَا مُغَالَبَاتٌ؟ كَيْفَ يُعْرَضُ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذَا وَيَذْهَبُ إِلَى مَا لَا يَدْرِي عَنْهُ هَلْ هُوَ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ؟ وَهُوَ إِلَى الشَّرِّ أَقْرَبُ، فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي أَصْبَحَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُبَالِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَالْشَّرُّ وَالْفِتْنَةُ عَظِيمَةٌ بِالْأَمْوَالِ الْآنَ، وَمَعَ هَذَا يَتَقَاتَلُ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الْفُرْصَةُ الْعَظِيمَةُ مَعَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَأَجُودَ الْأَجُودِينَ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، الَّذِي لَا يَسْتَغْنِي أَحَدٌ عَنْهُ طَرْفَةً عَيْنٍ، فَكَيْفَ يَغْفُلُونَ عَنْ هَذِهِ الْفُرْصَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ لَهُمْ؟! وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُمْ أَنْ يَسْهَرُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ، بَلْ هُوَ -سُبْحَانَهُ- يَنْزِلُ آخِرَ اللَّيْلِ قَبْلَ الْفَجْرِ. لَوْ لَمْ تَقُمْ إِلَّا قُبَيْلَ الْفَجْرِ بِدَقَائِقَ لِتَشْهَدَ هَذَا الْمَشْهَدَ الْعَظِيمَ، وَإِذَا بَكَرْتَ فَهُوَ أَفْضَلُ، فَلَا تُفَوِّتْ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْعَظِيمَةَ وَتَغْفُلَ عَنْهَا، فَرَبَّمَا يَكُونُ هَذَا آخِرَ حَيَاتِكَ وَلَا تُذَرِكُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَمَا دُمْتَ فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ، وَمَا دُمْتَ فَارْغًا غَيْرَ مَشْغُولٍ فَلَا تَضِيعَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْعَظِيمَةَ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ): الْمُسْتَغْفِرُ: هُوَ طَالِبُ الْمَغْفِرَةِ.

قوله: (يَلْقَى غَافِرًا): هُوَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا-، فَإِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْغَفَّارُ، وَالْغَفُورُ: ذُو الْمَغْفِرَةِ، هَذَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- الَّذِي يَسْتُرُ الذُّنُوبَ.

وَالْغَفْرُ: مَعْنَاهُ السِّرُّ؛ يَسْتُرُ الذُّنُوبَ بِالْعَفْوِ وَعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ.

قوله: (وَمُسْتَمْنِحٌ): أَي: طَالِبٌ لِلْمِنْحَةِ، وَهِيَ الْعَطَاءُ، وَهَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟».

١٤- رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ

أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا

الشرح:

قَوْلُ النَّاطِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : (رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ): أَيُّ: رَوَى حَدِيثَ النَّزُولِ جَمَاعَةً مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ)؛ لِأَنَّهُ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ لِلجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْطَلَةِ لِرَدِّهِ مِنْ نَاحِيَةِ السَّنَدِ.

(أَلَا خَابَ قَوْمٌ): لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَنَفَوْا النَّزُولَ عَنِ اللَّهِ، وَأَوَّلُوا حَدِيثَ الرَّسُولِ بِغَيْرِ مُرَادِ الرَّسُولِ ﷺ، وَافْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.

(كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا): وَهِيَ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنَهِجِهِمْ، فَأَصْلُ الْبَلَاءِ هُمْ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَكُلُّ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، فَهُمْ الَّذِينَ فَتَحُوا بَابَ الضَّلَالَةِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ فَهُوَ تَابِعٌ لَهُمْ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِمْ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ اثْنَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَثَامِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(١).

(١) بوب بمعناه البخاري في كتاب الاعتصام باب (إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة) قبل حديث (٧٣٢١)، ورواه مسلم (١٦) (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ اثْنَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَثَامِهِمْ شَيْئًا».

فَلْيَحْذَرِ الْمُسْلِمُ أَنْ يَكُونَ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُخْتَصُّ بِإِثْمِ نَفْسِهِ فَحَسَبُ، وَإِنَّمَا يَتَحَمَّلُ آثَامَ مَنْ اتَّبَعُوهُ؛ لِأَنَّهُ غَرَّهْمَ وَخَدَعَهُمْ وَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الشَّرِّ، وَصَارَ قُدُوءَ لَهُمْ فِي الشَّرِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، فَالْحَظَرُ شَدِيدٌ فِي هَذَا. وَهَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ قُدُوءَ فِي الْخَيْرِ، وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَتَجَنَّبَ أَنْ يَكُونَ دَاعِيَةً إِلَى الشَّرِّ، أَوْ اتِّبَاعِ الْهَوَى أَوْ الْمُخَالَفَاتِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهَا مَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ.

[فَضْلُ الصَّحَابَةِ وَتَفَاضُلُهُمْ وَمَحَبَّتُهُمْ]

١٥- وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ

وَزِيرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ

١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ

عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ

الشرح:

تمهيد:

هَذَا بَحْثٌ فِي حَقِّ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-، وَهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١)، قَالَ الرَّاوي: لَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِي قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٌ؟ يَعْنِي: تَكُونُ أَرْبَعَةُ قُرُونٍ، وَيُسَمُّونَهَا الْقُرُونُ الْمُفْضَلَةَ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

وْخَيْرُ هَذِهِ الْقُرُونِ هُوَ قَرْنُ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَقَدْ مَدَحَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:-

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمَرُونَ الَّذِينَ أَتَّبَعْتَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ومسلم (٢١٤) (٢٥٣٥) من حديث

عمران بن حصين رضي الله عنه، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢١٣) (٢٥٣٤).

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ١٠٠].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فالله -جل وعلا- أثنى عليهم ومدحهم بأنهم هم الصادقون ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: حَصَرَ الصَّدْقَ فِيهِمْ لِتَحَقُّقِهِ فِيهِمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ -جل وعلا-.

ثُمَّ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ الزَّانِدَةِ وَالْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَتَهَجَّمُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَيَذُمُّهُمْ! والله -جل وعلا- يقول: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فَهَذَا مُكَذَّبٌ لِلَّهِ -عز وجل-.

وَقَالَ -جل وعلا- فِي الْأَنْصَارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يَعْنِي: دَارَ الْهَجْرَةِ، وَهُمْ الْأَنْصَارُ فِي الْمَدِينَةِ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَقَدْ وَقَّى أَفْوَاجًا﴾ [الحشر: ٩]، هَذَا ثَنَاءٌ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَمَدْحٌ لَهُمْ، وَذِكْرٌ لِمِصْغَاتِهِمُ الْحَمِيدَةِ، وَاللَّهُ -جل وعلا- أَثَبَتَ لَهُمُ الْفَلَاحَ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَقَدْ وَقَّى أَفْوَاجًا﴾، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَقَاهُمْ شَحْنَ أَنْفُسِهِمْ، فَصَارُوا ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ -أي:

جُوعٌ، فَهُمْ يُؤْثِرُونَ حَاجَةً إِخْوَانِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ، وَلَمَّا هَاجَرَ إِلَيْهِمْ إِخْوَانُهُمْ
وَأَسَوْهُمْ، وَفَتَحُوا لَهُمْ صُدُورَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ، وَأَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَفِي بُيُوتِهِمْ،
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

ثُمَّ قَالَ فِي الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: مِنْ بَعْدِ
الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِخْوَانَنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:
١٠]، هَذَا فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ الْوَاجِبَ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ
لَهُمْ، وَالاعْتِرَافُ بِسَبْقِهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَسُؤَالُ اللَّهِ أَنْ يُنْزِلَهُ قُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ وَالْحَقْدِ
عَلَيْهِمْ وَالبُغْضِ لَهُمْ، فَهَذَا فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَبَيَانٌ مَا يَجِبُ لَهُمْ عَلَى مَنْ
جَاءَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، لَوْ أَنَّ أَحَدًا
أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلٍ أُحُدٍ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كُلَّهُ، مَا بَلَغَ فِي الْأَجْرِ
وَالثَّوَابِ مِثْلَ صَدَقَةِ الصَّحَابِيِّ بِالمُدِّ مِنَ الطَّعَامِ، أَوْ نِصْفِ المُدِّ، فَجَبَلُ الذَّهَبِ مِنْ
غَيْرِهِمْ لَا يُعَادِلُ المُدَّ مِنَ الطَّعَامِ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ لِفَضْلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ؛ لِأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ
مُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ شَرَفُ الْعَامِلِ عِنْدَ اللَّهِ.

ثُمَّ هُمْ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ:

-فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدَّمَهُمْ فِي الذِّكْرِ،

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٢٢) (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم (٢٢١) (٢٥٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَا تَنْهَمُ تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨].

-ثُمَّ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ
عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ
الْجَمِيعِ.

-ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

-ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ: الَّذِينَ شَهِدُوا غَزْوَةَ بَدْرٍ.

-ثُمَّ أَهْلُ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ: الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿لَقَدْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَخْبَرَ
أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي وَاحِدٌ مِّنَ الْفَسَقَةِ وَالْفَجَرَةِ وَيَذُمُّ الصَّحَابَةَ! فَبَحَّ اللَّهُ أَهْلَ
السُّوءِ وَالضَّلَالِ.

-ثُمَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا
مِن بَعْدُ وَفَتَلُوا كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحديد: ١٠]، (وَكُلًّا) يَعْنِي: الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ
الْفَتْحِ وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَهِيَ الْجَنَّةُ.

فَالصَّحَابَةُ لَا يُلْحَقُهُمْ أَحَدٌ فِي الْفَضْلِ مَهْمَا عَمِلَ، وَلَكِنْ حَسْبُهُ أَنْ يُجِبَّهُمْ
وَيَقْتَدِيَ بِهِمْ وَيُتَّبِعِي عَلَيْهِمْ، وَأَلَّا يَنْتَقِصَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا يَتَلَمَّسَ أخطاءَهُمْ، وَلَا
يَخْوَضَ فِيهَا حَصَلَ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ، وَجَرَّهَا عَلَيْهِمُ الْأَشْرَارُ

مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُوضَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ
وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَالتَّرْحُمِ عَلَيْهِمْ، وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُمْ،
وَالرَّسُولَ ﷺ يُحِبُّهُمْ، فَحَنُّ نَحْبٍ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يُحِبُّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مِنْ أَيْنَ وَصَلَ إِلَيْنَا؟ هَذَا الْقُرْآنُ وَهَذِهِ السُّنَّةُ، أَلَيْسَتْ عَنْ
طَرِيقِ الصَّحَابَةِ؟

فَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ لِمَا تَحَمَّلُوهُ
عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَبَلَّغُوهُ لَنَا بِأَمَانَةٍ، كُلُّ حَدِيثٍ تَجَدُّ فِيهِ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ عَنْ
صَحَابِيٍّ، فَهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ، الَّذِينَ حَفِظُوا لَنَا
سُنَّتَهُ، وَحَفِظُوا لَنَا الْقُرْآنَ، وَبَلَّغُوهُ لَنَا.

ثُمَّ مَنْ هُمُ الَّذِينَ نَشَرُوا الْإِسْلَامَ بِجِهَادِهِمْ وَدَعَوَتِهِمْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ؟
أَلَيْسُوا هُمُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! مَنْ هُمُ الَّذِينَ قَمَعُوا الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُتَعَتِّدِينَ بَعْدَ
وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ؟ أَلَيْسُوا هُمُ الَّذِينَ ثَبَّتَ اللَّهُ بِهِمْ هَذَا الدِّينَ لِمَا أَرَادَ أَهْلُ الشَّرِّ
اسْتِغْلَالَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَرَادُوا التَّشْكِيكَ فِي الدِّينِ وَرَدَّةَ النَّاسِ وَصَرْفَهُمْ
عَنْهُ؟! ثَبَّتَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقِيَادَةِ أَفْضَلِهِمْ وَخَيْرِهِمْ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذِهِ بَعْضُ فَضَائِلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَالسَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ الْمُصَنِّفِينَ فِي الْعَقَائِدِ يَذْكُرُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ هُوَ: الرَّدُّ عَلَى
الْفِرْقِ الضَّالَّةِ الْمُعَادِيَةِ لِلْإِسْلَامِ، الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَطْعَنَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَجِدْ طَرِيقاً
أَقْرَبَ مِنَ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا هَذَا الدِّينَ وَبَلَّغُوهُ لِلْأُمَّةِ،

فَإِذَا طَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ - وَهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ - فَقَدْ طَعَنُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَقَلُوهُ لَا يُحْتَجُّ بِهِمْ! هَذَا قَصْدُهُمْ.

وَالْمُعَادُونَ لِلصَّحَابَةِ هُمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ: الرَّافِضَةُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالنَّاصِبَةُ، لَكِنَّ أَحْبَبَهُمُ الرَّافِضَةُ.

-أَمَّا الْخَوَارِجُ: فَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا هُوَ التَّشَدُّدُ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ الطَّعْنَ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُمْ فَعَلُوا هَذَا عَنْ غُلُوٍّ وَتَطَرُّفٍ وَتَشَدُّدٍ، وَلَمْ يَعْمَلُوهُ طَعْنًا فِي الدِّينِ، بَلْ إِنَّ هَذَا -بِرْغَمِهِمْ- مِنْ حُبِّهِمُ لِلدِّينِ وَحِرْصِهِمْ عَلَيْهِ!

-وَأَمَّا النَّوَاصِبُ: فَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى سَبِّ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَمْرٌ سِيَاسِيٌّ؛ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الطَّعْنَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَمْرِ سِيَاسِيٍّ فَحَسَبُ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِمَامَةَ، لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ الطَّعْنَ فِي الدِّينِ.

-أَمَّا الرَّوَافِضُ -قَبَحَهُمُ اللَّهُ- فَقَصْدُهُمُ الطَّعْنَ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا ذَمُّوا الصَّحَابَةَ وَطَعَنُوا فِيهِمْ، لَمْ يَبْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسِطَةٌ، وَالدِّينُ مَا جَاءَنَا إِلَّا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ فِي نَظَرِ الرَّافِضَةِ لَا يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِمْ! فَإِذَا هَذَا طَعْنٌ فِي الدِّينِ، هَذَا قَصْدُهُمْ.

وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَنْ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، وَأَنَّهُمْ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي فَضْلِ الصُّحْبَةِ، وَلَا يُشَارِكُهُمْ فِي هَذَا الْفَضْلِ أَحَدٌ، وَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ أَحَدٌ، لَكِنْ هُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَتَفَاضَلُونَ، بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَإِذَا ذَكَرْنَا أَنَّ بَعْضَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّنَا نَنْتَقِصُ الْمَفْضُولَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ

نَتَقَصُّ الْمَقْضُولَ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَسَبَقَ بَيَانُ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ، قَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(١)، فَالَّذِي سَمَّاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِالْتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى سُنَّتِهِ ﷺ، وَيُثَبِّتُونَهَا وَيَنْشُرُونَهَا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالسُّلْطَةِ وَالْوِلَايَةِ.

وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَاخْتَلَفُوا فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَوْمٌ فَضَّلُوا عُثْمَانَ، وَقَوْمٌ فَضَّلُوا عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا فِي التَّفْضِيلِ.

أَمَّا فِي الْخِلَافَةِ فَالْأَمَّةُ مُجْمِعَةٌ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ لِعُمَرَ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ، ثُمَّ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ هَذَا هُوَ تَرْتِيبُ الْخِلَافَةِ بِالإِجْمَاعِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»: «وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ»^(٢)، فَيُوجَدُ فَرْقٌ بَيْنَ مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ وَمَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ: فَبَيْنَ مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَاخْتَلَفُوا فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ عُثْمَانَ أَفْضَلُ. لَكِنْ نَظَرًا لَوُجُودِ الْخِلَافِ يُذَكَّرُ الْخِلَافُ، وَإِلَّا فَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ أَصْحَابَ الشُّوَرَى

(١) سبق تخريجه (ص ٤٧).

(٢) انظر «العقيدة الواسطية» (ص ١٩٣) بشرح المؤلف حفظه الله تعالى.

قَدَّمُوا فِي الْخِلَافَةِ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمَسْأَلَةُ التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَمْرٌ سَهْلٌ، لَكِنْ الطَّعْنَ فِي الْخِلَافَةِ ضَلَالٌ؛ لِأَنَّ الرَّافِضَةَ يَقُولُونَ: الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ عَلِيٌّ، وَهُوَ الْوَصِيُّ، وَإِنَّ الصَّحَابَةَ ظَلَمُوهُ وَاغْتَصَبُوا الْخِلَافَةَ! وَيَلْعَنُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا، وَيُسَمُّونَهُمَا صَنْمَيِ قُرَيْشٍ!! فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ وَمُخَالَفَةٌ لِلْإِجْمَاعِ، فَالْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عَمْرٌ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ، وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ [النور: ٢٢]، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَ مُسْطَحَ بْنِ أَنَاثَةَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَكَانَ قَرِيبًا لَهُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْخَدَعَ بِالَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْإِفْكِ وَصَدَّقَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ، غَضِبَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، وَأَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ﴾ : يَعْنِي: لَا يَخْلِفُ، ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾ : فَوَصَّفَ أَبَا بَكْرٍ بِأَنَّهُ مِنْ أُولَى الْفَضْلِ^(١).

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) قصة مسطح رضي الله عنه مع أبي بكر رضي الله عنه في منع النفقة، رواها البخاري في حديث الإفك الطويل (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٤٧٥٧)، ومسلم (٥٦) (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: (قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب لأن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه...) اهـ.

كَفَرُوا ثَلَاثَ أَثْنَيْنِ ﴿[التوبة: ٤٠]، مَنْ هُمَا الاثنان؟ الرَّسُولُ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ. هَذَا بِالْإِجْمَاعِ، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: أَثْبَتَ لَهُ صُحْبَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فأبو بكر هو أفضل الصحابة؛ كما نطقت بهذا أحاديث صحيحة في البخاري وغيره^(١).

وهو أفضل هذه الأمة؛ وذلك لسابقته في الإسلام ومناصرتيه للرَسُولِ ﷺ ومُلازمته له، ولَمَّا مَاتَ الرَّسُولُ ﷺ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى اخْتِيَارِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمَّا ارْتَدَّ مَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، فَالَّذِي ثَبَتَ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَاتَلَهُمْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، حَتَّى ثَبَتَ اللَّهُ بِهِ هَذَا الدِّينَ وَقَمَعَ بِهِ أَهْلَ الرَّدَّةِ. وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيُسَمَّى بِالصِّدِّيقِ. وَدَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

(١) من الأحاديث في فضل أبي بكر رضي الله عنه وسابقته:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم..) رواه البخاري (٣٦٥٥) ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٦٧/٢) وفيه: (فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره). وعن علي رضي الله عنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث) رواه أحمد وابنه عبد الله في «المسند» من طرق (١٠٦/١) ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٩/١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١/٦) وابن أبي عاصم في السنة ١٢٠١ (٥٧٠/٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥) وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠١/١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٤) والخطيب في «تاريخه» (٤٣٨/١٢).

وَحَسَنَ أَوْلَٰدِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٩]، وَالصَّدِيقُ: هُوَ كَثِيرُ الصَّدَقِ، وَالْمُبَالِغُ فِي الصَّدَقِ، قَالَ ﷺ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»^(١).

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ: عُمَرُ الْفَارُوقُ، وَسُمِّيَ بِالْفَارُوقِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لَمَّا أَسْلَمَ بَعْدَ حَمْزَةَ اعْتَزَّ الْإِسْلَامُ بِإِسْلَامِهِمَا، وَقَبْلَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُسْتَضْعِفِينَ وَمُخْتَفِينَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- خَرَجُوا مَعَهُمَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكَانَ لَا أَحَدٌ يَقْرُبُهُمْ وَمَعَهُمْ حَمْزَةُ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- حِينَئِذٍ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِهِمَا، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»^(٢)، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِالْفَارُوقِ^(٣).

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (١٠٢) (٢٦٠٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٣٦٨٤، ٣٨٦٣)، وانظر «البداية والنهاية» (٧٩/٣) ط. مكتبة المعارف، و«الكامل» (٦٠٢/١) ط. دار الكتب العلمية.
(٣) قال ابن الأثير في «الكامل» (٤٤٩/٢): (وسماه النبي ﷺ الفاروق، وقيل بل سماه أهل الكتاب).

قال الطبري (٥٦٢/٢): (وكان يقال له الفاروق، وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك فقال بعضهم: سماه بذلك رسول الله ﷺ وعزاه لعائشة رضي الله عنها.
وقال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق وكان المسلمون يأترون ذلك من قولهم...).

وقال في «سمط النجوم العوالي» (٤٩٤/٢): أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وعمر الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل).

وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي، وَهُوَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ؛ كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ، وَغَيْرِهِ^(١).

وَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَيُّ الْمُسْتَشَارَانِ لِلرَّسُولِ ﷺ. وَالْوَزِيرُ: هُوَ الْمُؤَاوِزُ وَالْمُوَيَّدُ لَوْلِي الْأَمْرِ، قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فِي مُوسَى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، يُؤَاوِزُهُ؛ لِأَنَّ مُوسَى دَعَا رَبَّهُ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ﴾ ٢١ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ٢٢ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ ٢٣ ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ ٢٤ [طه: ٢٩-٣٢]، هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ. الَّذِي يُشَارِكُ فِي الرَّأْيِ وَيُؤَاوِزُ وَلِيَّ الْأَمْرِ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالنُّصْحِ، فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ هُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا أَنَّ هَارُونَ وَزِيرُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَزْجَحُ): الثَّالِثُ فِي الْفَضْلِ هُوَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ: هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنْفَقَ الْأَمْوَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

= وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص ١١٣) ط. السعادة: (عن ابن عباس قال: سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد...) وذكر قصة إسلامه، وفي آخرها (فخرجنا صفيين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلت المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ (الفاروق) يومئذ؛ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل) [أخرجه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن عساكر] اهـ.

(١) روى البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة، فقلت من الرجال؟ قال: (أبوها) قلت: ثم من؟ فقال: (عمر بن الخطاب).

-عز وجل- وخفر بئر رومة للمسلمين، قال ﷺ: «مَنْ يَحْفَرْ هَذَا الْبَيْرَ وَلَهُ الْجَنَّةُ»^(١)، فحفرها عثمان رضي الله عنه، وأوقفها للمسلمين، وجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ بِكَامِلِهِ مِنْ مَالِهِ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ عُمَرَ بِإِجْمَاعِ أَصْحَابِ الشُّوَرَى الَّذِينَ عَهَدَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَايَعُوهُ وَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ.

وَهُوَ -أَيْضاً- زَوْجُ بِنْتِي الرَّسُولِ ﷺ: رُفِيَّةٌ وَأُمُّ كُلثُومٍ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى ذَا النُّورَيْنِ؛ لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ بِنْتِي الرَّسُولِ ﷺ.

وَلَمَّا أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ يُفَاوِضُ الْمُشْرِكِينَ وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ، بَايَعَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «وَهَذِهِ لِعُثْمَانَ»^(٢)، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَهُوَ غَيْرُ حَاضِرٍ؛ لِأَنَّهُ فِي مَكَّةَ.

وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ الْمُصْحَفَ الْإِمَامَ -الْمُسَمَّى مُصْحَفَ عُثْمَانَ- بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ، الَّذِي عَلَيْهِ الْمَصَاحِفُ الْيَوْمَ. فَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:-

(وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيُّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ): ثُمَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ فِي الْفَضْلِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ

(١) رواه البخاري (٢٧٧٨) في كتاب الوصايا، وعلقه في مناقب عثمان رضي الله عنه قبل حديث (٣٦٩٥).

(٢) قصة المبايعة رواها البخاري (٣٦٩٨) و (٤٠٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر «زاد المعاد» (٣/ ٢٨٦-٣١٦).

مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١)، هَذَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، لَمَّا خَلَفَهُ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّفَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ أَقْنَعَهُ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمَّا ذَهَبَ إِلَى مَوْعِدِ رَبِّهِ اسْتَخْلَفَ هَارُونَ، وَقَالَ لَهُ: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢]. اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ لِأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ، فَالرَّسُولُ ﷺ فَعَلَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى تَبُوكَ مِثْلَمَا فَعَلَ مُوسَى مَعَ هَارُونَ -عَلَيْهِمَا السَّلَام- لَمَّا ذَهَبَ لِمِيعَادِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢) [الأعراف: ١٤٢]، فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهُوَ الَّذِي قَاتَلَ الْخَوَارِجَ، وَقَضَى عَلَى فِتْنَتِهِمْ وَأَرَاحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ، وَتَحَقَّقَتْ فِيهِ بُشْرَى الرَّسُولِ ﷺ فِي قَتْلِهِمْ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ: فَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ الْأَحْرَارِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْعَبِيدِ بِلَالُ بْنُ رَبِيعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَعَلِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَزَوْجُ ابْنَةِ الرَّسُولِ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، (٤٤١٦)، ومسلم (٣٢) (٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص

رضي الله عنه.

فَاطِمَةَ، وَأَبُو الْحَسَنِ: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَلَهُ فَضَائِلُ عَظِيمَةٌ.

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْرَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ خَدَا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١)، فَاسْتَشْرَفَ الصَّحَابَةُ كُلُّ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّخْصَ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَظِيمَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْجَمِيعِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) و (٣٧٠١) و (٤٢١٠) ومسلم (٣٤) (٢٤٠٦) من حديث

سهل بن سعد رضي الله عنه.

[فَضْلُ بَاقِي الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ]

١٧- وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ

عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ

وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ

الشرح:

قوله: (وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ): الرَّهْطُ: هُمُ الْجَمَاعَةُ دُونَ الْعَشْرَةِ، وَيُقَصَّدُ بِهِمْ هُنَا الْعَشْرَةُ الْمُبَشِّرُونَ بِالْجَنَّةِ^(١).

(عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ): أَي: عَلَى نُوقٍ مِنَ الْجَنَّةِ.

(بِالنُّورِ تَسْرَحُ): تَسْرَحُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا.

لَمَّا ذَكَرَ الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ذَكَرَ هُنَا بَقِيَّةَ الْعَشْرِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ السِّتَّةُ الْبَاقُونَ مِنَ الْعَشْرِ:

أُولَئِهِمْ: (سَعِيدٌ): وَهُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَقِيلٍ، ابْنِ عَمِّ عَمْرِو بْنِ

(١) انظر في فضل العشرة المبشرين بالجنة: «سنن أبي داود» (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)، الترمذي

(٣٧٤٨، ٣٧٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٦٣٠) وابن ماجه (١٣٤)، أحمد (١/١٨٧، ١٨٨)،

(١٨٩)، وابن أبي عاصم (١٤٢٨، ١٤٣١)، والحاكم (٣/٣١٦) من حديث سعيد بن زيد رضي

الخطَّاب، وزوج أختِ عمرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

الثَّانِي: (وَسَعْدُ): وهو: سعدُ بنُ أبي وقاصٍ الزُّهريُّ رضي الله عنه.

الثَّالِثُ: (وَابْنُ عَوْفٍ): وهو: عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رضي الله عنه، وهو من أثرياء الصَّحَابَةِ، ومن الذين يُنْفَقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الإنْفَاقَ الْكَثِيرَ.

الرَّابِعُ: (وَطَلْحَةُ): وهو: طَلْحَةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ رضي الله عنه.

الخَامِسُ: (وَعَامِرُ): وهو: أَبُو عُبيدة، عَامِرُ بنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، أمينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَ(فَهْرُ): من أَجْدَادِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ آبَاءِ الْقُرَشِيِّينَ.

السَّادِسُ: (وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ): وهو: الزُّبَيْرُ بنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه، حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هَؤُلَاءِ السَّتَّةُ، مَعَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، صَارُوا عَشْرَةً مُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ مِنْ قُرَيْشٍ.

[إِحْسَانُ الْقَوْلِ فِي الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -

وَحُكْمُ الطَّغْنِ فِيهِمْ]

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ

وَلَا تَكُ طَعَنًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ

وَفِي الْفَتْحِ أَيُّ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

الشرح:

ذَكَرْ هُنَا بَقِيَّةَ الصَّحَابَةِ بَعْدَمَا ذَكَرَ الْعَشْرَةَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ: (وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ): حَتَّى لَا يُظَنَّ أَنَّ ذِكْرَ الْفَاضِلِ مِنَ الصَّحَابَةِ تَنْقُصُ لِلْمَفْضُولِ، بَلْ كُلُّهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَهُمْ فَضْلُ الصُّحْبَةِ وَالْمُنَاصَرَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَالتَّلَقُّي عَنْهُ، فَقَدْ رَأَوْا الرَّسُولَ، وَآمَنُوا بِهِ، وَاجْتَمَعُوا بِهِ، وَصَلُّوا خَلْفَهُ، وَسَمِعُوا قَوْلَهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله - رحمه الله تعالى -: (فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ): فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِأَن تَثْنِي عَلَيْهِمْ وَتَمْدَحُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْمَدْحَ وَالثَنَاءَ.

(وَلَا تَكُ طَعَنًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ): لَا يَجُوزُ تَنْقُصُ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أَوْ التَّمَاثُ الْعُيُوبِ لَهُمْ؛ كَمَا تَفْعَلُ الرَّافِضَةُ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ وَأَعْدَاءُ الْأُمَّةِ وَأَعْدَاءُ الْمَلَةِ، وَكَمَا تَفْعَلُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالصَّحَابَةِ.

(فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ): الْوَحْيُ يَشْمَلُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ: قُرْآنًا وَسُنَّةً بِفَضْلِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَالَّذِي يَطْعُنُ فِيهِمْ مُكَذِّبٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيْفُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وَفِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ثَنَاءً مُتَكَرِّرٌ عَلَى صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي أَوَّلِهَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَالَ فِي آخِرِهَا: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ يَعْنِي: صِفَتُهُمْ ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾: الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى مُوسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَمِثْلُهُمْ﴾: أَي: صِفَتُهُمْ ﴿فِي الْإِنْجِيلِ﴾: الَّذِي نَزَلَ عَلَى عِيسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿كَرَّرَ أَخْرَجَ شَطْرَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَصِفَتُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ.

وقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: فدلَّ على أنَّ الذي يَغْتَاطُ من الصَّحَابَةِ أَوْ يُغَضُّهُمْ أَنَّهُ كَافِرٌ، بِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

[فَضْلُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٢١- وَسِبْطِي رَسُولُ اللَّهِ وَإِبْنِي خَدِيجَةَ

وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النَّقَاءِ تَبَخَّحُوا

[فَضْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

٢٢- وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالِنَا

مُعَاوِيَةَ، أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ أَمْنَحُ

الشرح:

قَوْلُ النَّازِمِ -رحمه الله تعالى-: (وَسِبْطِي رَسُولُ اللَّهِ): يعني: الحسن والحسين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالسَّبْطُ: هو ابنُ البنتِ، والحَفِيدُ: هو ابنُ الابنِ، فَالْحَسَنُ والحسين هما سِبْطَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١)، أي: ابنا بنته فاطمة، وهما «سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢)؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

قَوْلُهُ: (وَإِبْنِي خَدِيجَةَ): أولادُ الرَّسُولِ ﷺ كُلُّهُمْ من خَدِيجَةَ، ما عدا إبراهيمَ،

(١) وردت هذه التسمية في «المعجم الكبير» للطبراني (٢٦٧٦) (٣/٥٨) عن جابر وابن عباس من قول الحسن والحسين. وفي «المعجم الأوسط» (٦٥٤٠) (٦/٣٢٧) مرفوعاً: (ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين). وانظر «المعجم الصغير» (٩٤) (١/٧٥).

(٢) رُوي هذا الحديث عن عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم حتى قال السيوطي: هذا متواتر. انظر «فيض القدير» (٣/٤١٥).

فهو من مارية القبطية، وأمّا بقية أولاد الرسول ﷺ فكلّهم من خديجة، رضي الله عنها، وله منها ابنان ماتا في حياته - عليه الصلاة والسلام - في مكة.

قوله: (وَفَاطِمَةُ...): هي فاطمة بنت الرسول ﷺ، وكان النبي ﷺ يحبها، وكانت إذا أقبلت قام إليها وقبّلها، وأجلسها إلى جنبه.

قوله: (وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ): التي هي أحب النساء إلى رسول الله ﷺ. وأحب الرجال إلى رسول الله ﷺ هو أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(١).

قوله: (وَحَالَتَا مُعَاوِيَةَ): معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، الصحابي الجليل، كاتب الوحي، كان يكتب القرآن للرسول ﷺ.

وكان خال المؤمنين؛ لأن أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فهو خال المؤمنين، بمعنى أنه أخو أم المؤمنين. وهذا من فضائله رضي الله عنه.

= وقد ورد عن عدد من الصحابة منهم: أبو سعيد الخدري عند الترمذي (٣٧٦٨) وقال حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (٨١١٣)، وأحمد في «المسند» (١٦٦/٣)، وابن حبان (٦٩٥٩) - الإحسان، وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن ماجه في «السنن» (١١٨)، والحاكم في «المستدرک» (١٦٧/٣)، وعن ابن مسعود عند الحاكم (١٨٢/٣)، وعن جابر وحذيفة وأبي هريرة وعلي وعمر رضي الله عنهم عند الطبراني في «الكبير» (٢٦١٦، ٢٦٠٨، ٢٦٠٤، ٢٦٠١، ٢٦١٧)، (٢٥٩٨، ٢٦١٨).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

[فَضْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ]

٢٣- وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ

يَنْصُرَتِهِمْ عَنْ كَيْفَةِ النَّارِ زُخْرُحُوا

الشرح:

وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ - أَيْضاً - لَهُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

- الْمُهَاجِرُونَ: الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرُوا مِنْ أَوْطَانِهِمْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ.

- وَالْأَنْصَارُ: الَّذِينَ نَاصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَوَّاءَ إِخْوَانَهُمْ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ.

وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قَوْلُهُ: (يَنْصُرَتِهِمْ عَنْ كَيْفَةِ النَّارِ زُخْرُحُوا): أَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِصُحْبَتِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ.

[فَضْلُ التَّابِعِينَ وَالْأَنْمَةِ الْمُتَّبِعِينَ]

- ٢٤- وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَاخِذٍ
وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا
- ٢٥- وَمَالِكَ وَالثَّوْرِيَّ ثُمَّ أَخُوهُمْ
أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ
- ٢٦- وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
إِمَامَا هُدَى مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْصَحُ
- ٢٧- أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
فَأَحْبِبُّهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ

الشرح:

قولُ النَّازِمِ - رحمه الله تعالى -: (وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَاخِذٍ): وَمِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ التَّابِعُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْكُمْ هُنَّ جَنَّاتُ جَنَّاتٍ مَوْجِدَةٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ التَّابِعِيُّ فَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ تَتَلَمَّذَ عَلَى الصَّحَابِيِّ وَأَخَذَ عَنْهُ.

وَأَلَّا فَاسَمُ التَّابِعِ عَمُومًا يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ اتَّبَعَ وَسَارَ عَلَى نَهْجِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوَّلِينَ -الذين بعد الصحابة- وَالْآخِرِينَ، وَلِهَذَا قَالَ -جَلَّ وَعَلَا- لَمَّا ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا رَدٌّ عَلَى الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقُلُوبِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِيهِمْ بِالسَّتِّهِمْ، وَيَلْعَنُونَ وَيُكْفَرُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رحمه الله تعالى-: «وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسَّتِّهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١): سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾، وَسَلَامَةُ السَّتِّهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، فَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا سَلَامَةُ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسُنِ لَصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. هَذَا مِنْهُجُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا مَنْ يُجَرِّحُ، وَيَلْتَمِسُ الْعُيُوبَ، وَيُشَكِّكُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ أَوْ يُكْفَرُهُمْ أَوْ يَلْعَنُهُمْ، فَهَذَا مُخَالَفٌ لِهَدْيِ الْإِسْلَامِ، وَمُعَادٍ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَمُعَادٍ لِلرَّسُولِ ﷺ، لِأَنَّهُ إِذَا طَعَنَ فِي صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ طَعَنَ فِي الرَّسُولِ ﷺ وَطَعَنَ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي يُثْبِتُ عَلَيْهِمْ وَيَمْدَحُهُمْ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رحمه الله تعالى-:

(١) العقيدة الواسطية، ضمن مجموع الفتاوى: (٣/ ١٥٢). وانظر: العقيدة الواسطية مع

الشرح، للمؤلف حفظه الله تعالى (ص ١٨٤).

(وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ أَبُو عَمْرِو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ):

يذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - فضائل الأئمة، ومنهم هؤلاء الأئمة:

(وَمَالِكٌ): وهو: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، إمامُ دارِ الهجرة.

(وَالثَّوْرِيُّ): وهو: سفيانُ الثَّوْرِيُّ.

(...الْأَوْزَاعِيُّ): إمامُ أهلِ الشَّامِ.

(وَمَنْ بَعْدَهُمُ فَالشَّافِعِيُّ): هو: الإمامُ محمد بن إدريس الشافعي.

(وَأَحْمَدُ): هو الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ.

قوله: (فَأَحْبِبُّهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ): تحبُّ السَّلَفَ الصَّالِحَ، وأئمةَ الإسلامِ، فإنَّ هذا علامةُ الإيمانِ.

ولم يذكر المصنَّفُ أبا حنيفة؛ لأن أبا حنيفةَ قيل: إنَّه من التَّابِعِينَ؛ لأنَّه أدركَ جماعةً من الصَّحابةِ. وَالصَّحِيحُ: أنه من أتباعِ التَّابِعِينَ، وأنَّه لم يدرك الصَّحابةَ، وإنَّما أدرك التَّابِعِينَ، فهو من القرنِ الثَّالثِ، من القُرونِ المفضَّلةِ - رحمه الله تعالى - وهو أولُ الأئمةِ الأربعةِ، المتبوعين في الزَّمانِ.

[الإيمان بالقدر]

٢٨- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنُ فَإِنَّهُ

دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ أَفْسَحَ

الشرح:

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان.

أتى جبريل -عليه السلام- النبي ﷺ، فقال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ ﷺ: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)، فجعل ﷺ الإيمان بالقدر سادس أركان الإيمان.

والإيمان بالقضاء والقدر هو: الإيمان بعلم الله وتقديره الأشياء قبل كونها، وبأفعال الله -جلّ وعلا- وإرادته ومشيئته وخلقه وإيجاده، فهو أمر عظيم.

وفي القرآن الكريم: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:

.٢]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] أي: قَدَرٌ وَقَوَعَهُ وَشَاءَ وَجُودَهُ وَخَلَقَهُ، وَقَدَرٌ صِفَاتِهِ وَوَقْتَهُ الَّذِي يَبْعُ فِيهِ. كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مُقَدَّرٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ:

(١) رواه مسلم (١) (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٥) (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١- مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِهِ.

٢- وَمِنْ جِهَةِ كِتَابَتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

٣- وَمِنْ جِهَةِ مَسِيئَةِ اللَّهِ لَهُ فِي وَقْتِهِ.

٤- وَمِنْ جِهَةِ خَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ.

فكُلُّ شَيْءٍ لَهُ صِفَاتٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ، لَا يَزِيدُ عَنْهَا وَلَا يَنْقُصُ، فَهَذَا شَيْءٌ مُقَدَّرٌ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى- فِي الْمَطَرِ: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] الْمَطَرُ مُعْلُومٌ الْكَمِّيَّةُ، وَمَعْلُومٌ مَكَانُ النُّزُولِ، وَوَقْتُ النُّزُولِ فَهُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ -تَعَالَى- مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ.

فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- عَلِمَهُ وَخَلَقَهُ وَقَدَّرَهُ، لَمْ يَوْجِدْ بَدُونِ خَلْقٍ، وَلَا مِنْ غَيْرِ سَابِقٍ تَقْدِيرٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنَّ يَشَاءُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- وَيُرِيدُهُ. فَأَمُورُ الْكَوْنِ لَيْسَتْ فَوْضَى، وَإِنَّمَا هِيَ مُنْضَبِطَةٌ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ لَهَا وَإِيجَادِهِ لَهَا وَمَسِيئَتِهِ لَهَا بِصِفَاتِهَا الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا. فَهَذَا أَمْرٌ مَهْمٌ جَدًّا.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ضَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامٌ، وَزَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامٌ، مِمَّنْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَإِنَّمَا اعْتَمَدُوا عَلَى عُقُولِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، فَتَخَبَّطُوا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ تَخَبُّطًا قَظِيعًا، وَهَدَى اللَّهُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَأَمَّنُوا بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ وَفَرَضَهُ عَلَى عِبَادِهِ، بِمُوجِبِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَعَادَتِهِمْ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْعَقِيدَةِ.

وَالْبَحْثُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أُمُورًا كَثِيرَةً:

أَوَّلًا: مَعْنَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

القَدْرُ هو: تقديرُ الله -جلَّ وعَلا- للأشياء وإِرادَتُهُ لَهَا وإِيجادُهَا فِي وَقْتِهَا.
هَذَا مَعْنَى الْقَدْرِ، وَكَذَلِكَ مَعْنَى الْقَضَاءِ.

وْغَالِباً يَأْتِي التَّعْبِيرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا أَنَّ الْقَضَاءَ أَعْمُ مِنَ الْقَدْرِ^(١)؛ لِأَنَّ الْقَضَاءَ يَأْتِي بِمَعْنَى الْقَدْرِ؛ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ وَقَضَاهَا، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجناتية: ١٧].

فَالْقَضَاءُ أَعْمُ مِنَ الْقَدْرِ، فَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ.

ثَانِيًا: حُكْمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ:

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَاجِبٌ وَقَرُصٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَةِ، وَلِأَنَّهُ إِيْمَانٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- وَلِهَذَا قَالُوا: «الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ، فَمَنْ جَحَدَهُ، فَقَدْ جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-»^(٢). وَفِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ: «الْقَدْرُ سِرُّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ»^(٣).

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لأبي السعادات ابن الأثير (٧٨/٤) ط. المكتبة العلمية، «ولسان العرب» لابن منظور (١٨٦/١٥)، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٧١/١).
(٢) انظر: «الإبانة» لابن بطة (١٣١/٢) ط. دار الراجية للنشر، و«منهاج السنة النبوية» (٢٥٤/٣) ط. مؤسسة قرطبة.

(٣) أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٢٢) (٦٢٩/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٨١/٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكلموا بشيء من القدر فإنه سر الله فلا تفشوا سر الله». وروى نحوه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣٨٨/٢) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «القدر سر الله فلا تفشه»، انظر: «الإبانة» =

والبحث في القضاء والقدر لا يجوز أن يُتعدى فيه ما جاء في النصوص من الكتاب والسنة، والتعمق فيه يُفضي إلى الضلال والحيرة؛ لأنه سرُّ الله في خلقه، فأنت حينَ تعمق وتبحث فيه لن تصل إلى نتيجة؛ لأنك تبحث عن شيء أسره الله -جلّ وعلا- عن خلقه، وحسبك أن تؤمن به، فما تعمق فيه أحدٌ ووصل إلى نتيجة، بل وصل إلى الحيرة والاضطراب؛ ولذلك حسبك أن تتمشى مع النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في إثبات القدر والإيمان به، ويكفيك هذا.

ثالثاً: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر يتضمّن أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله علّم ما كان وما يكون بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً.

فما من شيء إلا ويعلمه الله -جلّ وعلا- يعلم ما كان وما يكون، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ مِنْ ظِلْمَتٍ إِلَّا يَسْلُكُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، فهو يعلم ما يكون بين الناس من الكلام والنجوى فيما بينهم وهو -سبحانه-: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٠٦].

= لابن بطّة (١٤١/٢)، و«تاريخ دمشق» (٥١٣/٤٢)، و«فيض القدير» (٣٤٨/١)، و«تحفة الأحوذى» (٢٧٩/٦).

[٢٣]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

فَعِلْمُ اللَّهِ شَامِلٌ لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- الشَّامِلِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ: بِالْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ تُؤْمِنَ وَتَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كُلَّ شَيْءٍ. وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ: لَوْحٌ مَخْلُوقٌ، لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ وَسَعَتَهُ إِلَّا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فَهُوَ عِنْدَهُ -جَلَّ وَعَلَا- نَوْمٌ بِهِ، وَتُؤْمِنُ بِالْكِتَابَةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١)، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

فَأَيُّهُمَا أَسْبَقُ: الْعَرْشُ أَمْ الْقَلَمُ؟

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٣١٧/٥) واللفظ له، والطيالسي (٥٧٧)، والآجري في «الشرعية» (ص ١٧٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٤/١٠)، وفي «الأسماء والصفات» (ص ٣٨٧) من حديث عباد بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

١- قَالَ قَوْمٌ: الْعَرْشُ أَسْبَقُ مِنَ الْقَلَمِ.

٢- وَقَالَ قَوْمٌ: الْقَلَمُ أَسْبَقُ مِنَ الْعَرْشِ.

٣- وَقَوْمٌ فَصَّلُوا، فَقَالَ ابْنُ الْقِيمِ -رحمه الله تعالى-^(١):

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي	كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ، أَوْ هُوَ، بَعْدَهُ؟	قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا هَمْدَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لَأَنَّهُ	قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ	إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانِ

فَالْكِتَابَةُ مُقَارَنَةٌ لَوْجُودِ الْقَلَمِ، حِينَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: «اُكْتُبْ»، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوُجُودُ فَالْعَرْشُ أَسْبَقُ.

وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، قَدَّرَهَا قَبْلَ الْكِتَابَةِ ثُمَّ كَتَبَهَا، فَالْكِتَابَةُ مُقَارَنَةٌ لَوْجُودِ الْقَلَمِ، وَوُجُودُ الْقَلَمِ مُتَأَخِّرٌ عَنْ وُجُودِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ أَسْبَقُ.

وهذه مسألة استطرادية، ولكن لا بدَّ من معرفتها؛ لأنها تدخل في مرتبة الكتابة، وهي الكتابة العامة الشاملة التي كُتِبَ فيها كلُّ شيء.

وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَأْمُرُ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ بِالْأُجْنَةِ أَنْ يَكْتُبَ الرِّزْقَ وَالْأَجَلَ وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ؟ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ

(١) انظر: النونية مع شرح ابن عيسى (١/ ٣٧٣-٣٧٧).

يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ؛ وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»^(١).

الجواب: هذه الكتابة تفصيل للكتابة السابقة، وهي مأخوذة من الكتابة السابقة التي في اللوح المحفوظ.

وجاء -أيضاً- في ليلة القدر: أَنَّ اللَّهَ يُقَدِّرُ مَا يَجْرِي فِي السَّنَةِ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، أَوْ جَذْبٍ أَوْ خُصْبٍ، أَوْ رُخْصٍ الْأَسْعَارِ أَوْ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ، أَوْ الْحُرُوبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٢)، هَذَا كُلُّهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّهُ يُقَدَّرُ فِيهَا مَا يَجْرِي فِي السَّنَةِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

فالجواب عن ذلك -كما سبق-: أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْكِتَابَةِ الْعَامَّةِ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ^(٣)، فَلَا تَنَافِي وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَاتَيْنِ الدَّرَجَتَيْنِ (العلم، والكتابة) قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كُتُبٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]،

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤) ومسلم (١) (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: في ليلة القدر يفصل عن اللوح المحفوظ إلى الكعبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر وأبي مالك ومجاهد والضحاك وغير واحد من السلف. اهـ، انظر: تفسير القرآن العظيم (١٢/ ٣٣٤) ط. مؤسسة قرطبة.

(٣) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٣٤٥) ط. الرسالة. وانظر أنواع الأقلام الأربعة في الشرح المذكور (ص ٣٤٨).

﴿نَبْرَاهَا﴾: يعني نُوجِدَهَا وَنَخْلُقُهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي مِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ فَهُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَا لَا يَشَاءُ وَلَا يُرِيدُهُ.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنُتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فَكُلُّ شَيْءٍ يَحْدُثُ قَدْ شَاءَهُ اللَّهُ وَأَرَادَهُ وَأَوْجَدَهُ، بَعْدَمَا عَلِمَهُ وَكَتَبَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَاهَا﴾: أَي: نَخْلُقُهَا وَنُوجِدُهَا، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى مَرْتَبَةِ الْكِتَابَةِ، وَمَرْتَبَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَمَرْتَبَةِ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ.

فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ لَا بَدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَا:

الْأُولَى: مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَرْتَبَةُ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ عِنْدَ وَقْعِ الشَّيْءِ.

الرَّابِعَةُ: مَرْتَبَةُ خَلْقِ الشَّيْءِ وَإِيجَادِهِ.

هَذِهِ مَرَاتِبُ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ^(١). مَنْ جَحَدَ وَاحِدَةً مِنْهَا لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

رَابِعًا: الْمُخَالَفُونَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ:

خَالَفَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ طَائِفَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ: الْقَدَرِيَّةُ وَالْجَبَرِيَّةُ.

١ - الْقَدَرِيَّةُ^(٢): الَّذِينَ يَنْفَوْنَ الْقَدَرَ، سُمُّوا بِالْقَدَرِيَّةِ.

(١) انظر «شفاء العليل» (ص ٤٩، ٢٩) ط. دار الفكر.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (وأما فتنة القدر فأول من تكلم بها معبد الجهنني، رجل من البصرة، وكان عنده حظ من العلم، يقال له: معبد بن خالد، ويقال: معبد بن عبدالله بن عويمر، مات بعد الهزيمة، وكان يومئذ مع الأشعث وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبدالله بن عمر بن الخطاب، فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان، وغيلان هو ابن أبي غيلان، أبو مروان من موالي عثمان بن عفان، وكان عنده حظ من العلم تكلم به أمام عبدالملك بن مروان، واستتابه عمر بن عبدالعزيز، ثم ظهر منه تكذيب التوبة، وصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر، قصته قد نقصيتها في كتاب تكفير الجهمية).

وأما عمرو بن عبيد، وهو عمرو بن عبيد بن كيسان بن ثابت، مولى بني تيمم البصري مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ومات في طريق مكة، فإنه أول من بسط لسانه وأصبح رأساً، ونظم له كلاماً ونصبه إماماً ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهباً يسلك، وهو إمام الكلام، وداعية الزندقة الأول، ورأس المعتزلة، سمي به لاعتزال حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة، وحذر منه إمام أهل المشرق عبدالله بن المبارك الحنظلي) اهـ انظر «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٧٤ و ٢٧٥) و«السير» (٤/ ١٨٥-١٨٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٢٦).

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ^(١)، وَاعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ.

فَالْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ تَفَوَّاهُمُ الْقَدَرُ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ^(٢)، وَقَالُوا: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ! وَإِنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ: لَمْ يُقَدِّرْهُ اللَّهُ! فَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هُمُ الَّذِينَ يُوجِدُونَهَا اسْتِقْلَالًا، لَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا إِرَادَةٌ وَلَا مَشِيئَةٌ! وَلِذَلِكَ سُمُّوا بِالْقَدَرِيَّةِ.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ أَثْبَتَ خَالِقِينَ مَعَ اللَّهِ! وَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ - جَلَّ وَعَلَا - وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: اللَّهُ مَعَهُ مَنْ يَخْلُقُ، وَهُمْ الْعِبَادُ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ!

(١) واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة المخزومي مولا هم البصري، رأس الاعتزال، كان بليغاً مفوهاً، هو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال توفي سنة ١٣١ هـ.

وقال إساق بن سويد العدوي:

بَرِثْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنْ الْغَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابٍ
وَمَنْ قَوْمٌ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ

انظر: «السير» (٤٦٤/٥)، و«الفرق بين الفرق» (١١٥-١١٨)، و«الملل والنحل» (١/٦٤).

(٢) قال ابن أبي العز عن المعتزلة: (هم أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأصحابهما، سُمُّوا بِذَلِكَ لَمَّا اعْتَزَلُوا الْجَمَاعَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي أَوَائِلِ الْمَثَةِ الثَّانِيَةِ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ مُعْتَزِلِينَ، فَيَقُولُ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: أُولَئِكَ الْمُعْتَزِلَةُ.

وقيل إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمر بن عبيد تلميذ الحسن البصري. وهم مشبهة الأفعال) انظر: «شرح الطحاوية» (٧٩١-٧٩٢).

والمعتزلة وضع لهم أبو الهذيل كتابين، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة: العدل، التوحيد، إنفاذ الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

انظر المصدر السابق.

وهَذَا شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(١)؛ لَأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا خَالِقِينَ مَعَ اللَّهِ، مِثْلُ الْمَجُوسِ: الْمَجُوسُ قَالُوا: هَذَا الْكَوْنُ لَهُ خَالِقَانِ: النُّورُ يَخْلُقُ الْحَيَرَ، وَالظُّلْمَةُ تَخْلُقُ الشَّرَّ! وَزَادَ عَلَيْهِمُ الْقَدَرِيَّةُ، فَقَالُوا: كُلُّ يَخْلُقُ فِعْلًا نَفْسِهِ، فَأَتَّبَعُوا خَالِقِينَ مُتَعَدِّينَ مَعَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهَذَا شِرْكٌ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

٢- قَابَلْتُهُمْ فِرْقَةَ الْجَبَرِيَّةِ، وَهُمْ: أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ^(٢)، فَقَالُوا: الْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ وَلَا مَشِيئَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى مَا يَحْصُلُ مِنْهُ بِدُونِ اخْتِيَارِهِ، فَهُوَ كَالآلَةِ بِيَدٍ مَنْ يُحَرِّكُهَا، وَكَالرِّيشَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ، وَكَالْجَنَازَةِ عَلَى النَّعْشِ! فَالْعَبْدُ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ آلَةٌ تُحَرِّكُ.

فَالْجَبَرِيَّةُ غَلَوُا فِي إِثْبَاتِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَنَفَوْا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَإِرَادَتَهُ.

وَالْمُعْتَزَلَةُ -عَلَى النَّقِیْضِ- غَلَوُا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ، وَنَفَوْا مَشِيئَةَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

فَكُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ غَلَا فِي شَيْءٍ:

(١) رواه أبو داود (٤٦٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥/٣)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٥٩)، واللالکائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٣٩/٤)، والبيهقي في «الکبرى» (٢٠٣/١٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الجهم بن صفوان: الترمذي الذي أظهر نفی الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد ابن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، وكان جهنم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، وقتل بخراسان على يد سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ.

انظر «شرح الطحاوية» (ص ٧٩٤)، و«الفرق بين الفرق» (ص ١٩٤)، و«الملل والنحل»

فَالْقَدَرِيَّةُ: غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ، حَتَّى قَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَتْ قُوَّةُ اللَّهِ
وَيَخْلُقُ مَا يُرِيدُ.

وَالْجَبَرِيَّةُ: غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، حَتَّى نَفَوْا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ
وَإِرَادَتَهُ.

-وَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ تَوَسَّطُوا، فَقَالُوا: كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ،
وَمِنْهَا أَفْعَالُ الْعِبَادِ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ، وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ
لَهُ مَشِيئَةٌ وَلَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَقِيلُ عَنِ اللَّهِ، كَمَا تَقُولُهُ الْقَدَرِيَّةُ، وَلَيْسَ مُجْبَرًا،
كَمَا تَقُولُهُ الْجَبَرِيَّةُ، بَلْ هُوَ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ بِاخْتِيَارِهِ وَمَحْضِ إِرَادَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ يُثَابُ
عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيُعَاقَبُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ كَانَ
مُجْبَرًا فَإِنَّهُ لَا يُعَاقَبُ. كَيْفَ يُعَاقَبُ عَلَى شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا مَشِيئَةٌ أَوْ
إِرَادَةٌ؟

وَلِذَلِكَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- لَا يُؤَاخِذُ الْمَجْنُونَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ إِرَادَةٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ
الْمُكْرَهَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ النَّائِمَ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ فِكْرٌ وَعَقْلٌ، قَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الصَّغِيرِ حَتَّى يَخْتَلِمَ، وَالْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَالنَّائِمِ
حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»^(١)، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَتْ لَهُمْ إِرَادَةٌ أَوْ مَشِيئَةٌ، فَلَا يُؤَاخِذُونَ عَلَى
مَا فَعَلُوا وَقَدْ غِيَابَ عُقُولُهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ.

أَمَّا مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ إِرَادَةٌ وَعِنْدَهُ مَشِيئَةٌ وَاخْتِيَارٌ فَإِنَّهُ يُثَابُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥) وابن حبان (١٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤١)،
والبيهقي في «الكبرى» (٢٦٤ / ٨)، والحاكم في «المستدرک» (٢٥٨ / ١)، (٥٩ / ٢) عن ابن عباس
رضي الله عنهما بلفظ: «إن الله وضع عن أمتي...».

ويعاقب على فعل المعاصي، لأنه فعلها باختياره وإرادته، والله -جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٢٧٧] ﴿وَعَمِلُوا﴾، فأسند العمل إليهم، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٦] فأسند الكفر إليهم؛ لأنه من فعلهم وإرادتهم، ويقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣]، فأسند المعصية إليهم؛ لأنها من فعلهم.

فهي من ناحية الفعل: أفعال العباد، ومن ناحية القدر: مقدرة من الله -جل وعلا- فهي قدر الله وهي فعل العبد، جمعاً بين النصوص.

وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فقوله: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾: هذا رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد، فدل على أن العبد يستقيم بمشيئته.

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: هذا رد على القدرية الذين يقولون: إن مشيئة العبد مستقلة، والعبد يفعل استقلالاً، فالآية رد على الطائفتين.

وفي الآية: إثبات مذهب أهل السنة والجماعة: أن الطاعات والمعاصي هي فعل العباد، وهي قضاء الله وقدره، قدرها عليهم، وفعلوها باختيارهم ومشيئتهم وإرادتهم؛ ولذلك الإنسان العاقل -غير المكره- يستطيع أن يفعل، ويستطيع أن يترك؛ يستطيع أن يقوم يصلي، ويستطيع أن يتصدق، ويستطيع أن يجاهد في سبيل

الله. كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الصَّلَاةَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. يَتْرُكُ هُوَ بِاسْتَطَاعَتِهِ
وَاخْتِيَارِهِ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ. يُقَدِّمُ عَلَى الزَّنا، وَعَلَى شُرْبِ
الْخَمْرِ، وَعَلَى أَكْلِ الرِّبَا بِاخْتِيَارِهِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ الرِّبَا، وَيَتْرُكَ الزَّنا، وَيَتْرُكَ
الْمُحَرَّمَاتِ، فَهُوَ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِئَتِهِ يَفْعَلُ هَذَا. وَكُلٌّ يَعْرِفُ هَذَا.

وَالْجَبْرِیَّةُ لَا يُطَبِّقُونَ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالُوهُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا
اعْتَدَى عَلَيْهِمْ: ضَرَبَهُمْ أَوْ قَتَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ، أَلَيْسُوا يُطَالِبُونَ بِالانتِقَامِ وَالْقصاصِ؟
كَيْفَ يُطَالِبُونَهُ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُجْبَرٌ وَلَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ؟! هَذَا مِنْ بَابِ التَّنَاقُضِ.

أَيْضًا هُمْ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ وَيَتَزَوَّجُونَ، فَإِذَا كَانُوا مُجْبَرِينَ - كَمَا يَقُولُونَ - لِمَاذَا
يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ وَيَطْلُبُونَ إِيجَادَ الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ؟!

فَهُمْ لَا يُطَبِّقُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ الْحَبِيثَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ؛ وَلِذَلِكَ يُطَالِبُونَ
بِالانتِقَامِ وَالْقصاصِ، وَيَتَزَوَّجُونَ، وَيَطْلُبُونَ الرِّزْقَ.

فَهَذَا مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَهَذِهِ نَتِيجَةُ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْأَفْكَارِ،
وَالْعُقُولِ الْمُجَدَّدَةِ أَوْ الْفَاسِدَةِ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى أَقْوَالِ وَآرَاءِ النَّاسِ بِدُونِ رُجُوعٍ
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَلَا تَنَافِي بَيْنَ: الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ.

فَأَنْتَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا تُعْطِلِ الْأَسْبَابَ، بَلْ
تَطْلُبُ الرِّزْقَ، وَتَتَزَوَّجُ، وَتَطْلُبُ التَّجَارَةَ، وَتَسْعَى فِي الْأَرْضِ تَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

لَا تَقُولُ أَعْتَمِدُ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مُقَدَّرٌ فَسَوْفَ يَأْتِينِي، وَإِنْ

لَمْ يَكُنْ مُقَدَّرًا لِي فَلَنْ يَأْتِيَنِي!

هَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ. حَتَّى الطُّيُورُ وَالْبَهَائِمُ -بِفِطْرَتِهَا- تَذْهَبُ تَطْلُبُ الرِّزْقَ، قَالَ -ﷺ-: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ: تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١)، الطُّيُورُ لَمْ تَعُدْ فِي أَوْكَارِهَا، فِطْرَتُهَا تَقْتَضِي أَنَّهَا تَتَحَرَّكُ وَتَذْهَبُ لِتَطْلُبَ الرِّزْقَ، «تَغْدُو خِمَاصًا»: فِي الصَّبَاحِ، «وَتَرُوحُ»: فِي الْمَسَاءِ، «بِطَانًا»: شَبَعِي.

فَلَا تَنَافِي بَيْنَ: الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ. إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا الْجَبْرِيَّةُ.

وَلَكِنَّ الْأَسْبَابَ لَا تَسْتَقِيلُ بِإِيجَادِ النَّبِيَّةِ، إِنَّمَا الْمُسَبَّبُ هُوَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- رَدًّا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ. فَلَا تَغْلُوا فِي إِثْبَاتِ الْأَسْبَابِ كَالْقَدَرِيَّةِ، وَلَا تَغْلُوا فِي نَفْيِ تَأْثِيرِهَا، كَمَا تَقُولُهُ الْجَبْرِيَّةُ. فَاتَّخِذُوا الْأَسْبَابَ أَمْرًا مَطْلُوبًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وَقَالَ: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] وَاللَّهُ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَأَمَرَ بِالطَّاعَاتِ، وَهَذَا مِنْ فِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَنَهَى عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ، كَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْفُسُوقِ.

فَلَيْسَ مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ أَنَّ تُعْطَلَ الْأَسْبَابُ، بَلْ تَمْضِي فِي طَلَبِهَا مَعَ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَتَبَ لَكَ شَيْئًا سَيَأْتِيكَ، وَلَكِنْ لَا يَأْتِي لَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وقال حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤) وأحمد في «المسند»

(١/٣٠)، وابن حبان (٧٣٠) (٢/٥٠٩)، وأبو يعلى في مسنده (١/٢١٢)، والحاكم (٤/٣١٨)

وقال حديث صحيح ولم يخرجاه. من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

جَالِسٌ، لَابَدٌ أَنْ تَفْعَلَ السَّبَبَ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «أَخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(١).

فَأَنْتَ تَفْعَلُ السَّبَبَ فَإِنْ حَصَلَتِ النَّتِيجَةُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلِ النَّتِيجَةُ فَإِنَّكَ تَرْضَى وَتَسْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا كَتَبَ لَكَ شَيْئًا. فَهَذَا الْحَدِيثُ وَاضِحٌ فِي فِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ تَعْطِيلُ الْأَسْبَابِ، أَوْ أَنَّ فِعْلَ الْأَسْبَابِ يَسْتَقِيلُ بِإِيجَادِ النَّاتِجِ - كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ - بَلِ الْأَسْبَابُ يَفْعَلُهَا الْعَبْدُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَالنَّاتِجُ بِيَدِ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يُرْتَبُ النَّاتِجُ وَالْمُسَبِّبَاتِ عَلَى أَسْبَابِهَا.

خَامِسًا: فَوَائِدُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لَهُ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى - وَهِيَ أَعْظَمُهَا -: اسْتِكْمَالُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ جَحَدَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَكْمِلْ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ، الَّتِي فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ بِهَا: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ الْعَبْدَ يَمْضِي وَلَا يَسْتَسْلِمُ لِلْأَوْهَامِ وَالْخَوْفِ، وَإِنَّمَا يَمْضِي وَيَقُولُ: مَا قَدَّرَ اللَّهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ؛ جَلَسْتُ أَوْ لَمْ أَجْلِسْ.

وَلِهَذَا حَكَى اللَّهُ عَنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أَحَدٍ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا خَوْفُ مِنَّا

(١) رواه مسلم (٣٤) (٢٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٣٣).

وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨]، فَلَيْسَ الْجُلُوسُ فِي الْبُيُوتِ يَمْنَعُ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَيْسَ الْخُرُوجُ لِلْجِهَادِ يُوقِعُ الْمَوْتَ، أَوْ يَجْلِبُ الْمَوْتَ إِذَا لَمْ يَقْدَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ سَبَبٌ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَقْدَرَهُ اللَّهُ فَلَا أَثَرَ وَلَا نَتِيجَةَ لَهُ.

كَمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْمَعَارِكَ وَيَخْرَجُونَ سَالِمِينَ مُعَافِينَ؟ وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: «مَا فِي جِسْمِي مَوْضِعٌ شِرٍّ إِلَّا وَفِيهِ طَعْنَةٌ أَوْ ضَرْبَةٌ»^(١)، وَكَانَ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ، وَخَاضَ مَعَارِكَ عَظِيمَةً، وَتَمَنَّى أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَقْدَرْ لَهُ ذَلِكَ.

فَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَبْعَثُ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، أَمَّا الْقَعُودُ فَلَا يُغْنِي شَيْئًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وَقَالَ: ﴿أَتَيْمَنَّا كُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

فَالْقَضَاءُ لَا بَدَأَ أَنْ يَنْفَذَ وَلَا بَدَأَ أَنْ يَجْرِيَ، وَلَا فَائِدَةٌ فِي قَعُودِ الْإِنْسَانِ وَتَخَلُّفِهِ عَنْ فِعْلِ الْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْأَسْبَابِ السَّيِّئَةِ، فَهَذَا يَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ الْقُوَّةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيَنْفِي عَنْهُ الشُّكُوكَ وَالْأَوْهَامَ وَالتَّشَاوُمَ الَّذِي يُصَابُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَنْفِي عَنْهُ الْوَسَاوِسَ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْإِيمَانِ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ طَلَبِ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَمَا فِيهِ فَائِدَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقَضَاءِ

(١) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٣١٦/٤)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧٣/١٦)،

و«السير» (٣٨٢/١).

والْقَدَرِ، وَلَا يَقُولُونَ نَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الْقَتْلِ. إِذَا كَانَ الْمَوْتُ مُقَدَّرًا لَكَ سَيَأْتِيكَ وَلَوْ لَمْ تَذْهَبْ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُقَدَّرْ فَلَنْ يَأْتِيكَ وَلَوْ كُنْتَ فِي أَشَدِّ الْخَطَرِ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ لَا يَجْزَعُ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ هَذَا بَقْضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَهَذَا يُسَهِّلُ مُلَاقَاةَ الْمَصَائِبِ، فَلَا يَجْزَعُ الْإِنْسَانُ، وَلَا يَلْطِمُ الْخَدَّ، وَلَا يُشْقِ الْجَنْبَ، وَلَا يَدْعُو بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ لَا يَلُومُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَقُولُونَ: السَّبَبُ كَذَا وَكَذَا، بَلْ يَرْضَوْنَ بَقْضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّ الْمُصِيبَةَ تَحْصُلُ عَلَى أَيِّ حَالٍ إِنْ قَدَّرَهَا اللَّهُ، فَاَلْمُقَدَّرُ يَحْصُلُ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. وَكَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

فَهَذَا يُهَوِّنُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمَصَائِبَ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ بَقْضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

فَهَذِهِ الثَّلَاثُ فَوَائِدُ مِنَ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

الْأُولَى: اسْتِكْمَالُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَبْعَثُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُهَوِّنُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمَصَائِبَ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ، أَمَّا الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يَجْزَعُ وَيَتَسَخَّطُ، وَيَحْصُلُ مِنْهُ مَا يَحْصُلُ.

وَالآنَ نَسْمَعُ كَثِيرًا عَمَّا يُسَمَّى بِـ «الانْتِحَارِ»، وَأَنَّهُ انْتَشَرَ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ الْآخَرَى، مَا سَبَبُهُ؟

الجواب: سببه عدم الإيمان بالقضاء والقدر، إذا تضايق الواحد منهم نحر نفسه! والعياذ بالله؛ لأنه لا يؤمن بالقضاء والقدر، فلا يقول: هذا شيءٌ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ، وهذا شيءٌ مكتوبٌ عَلَيَّ، والفرج قريبٌ إن شاء الله، ويحسن الظنَّ بالله - عزَّ وجلَّ - ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فالذي يتنحَّرُ ويقتل نفسه لا يؤمن بالقضاء والقدر؛ لأنه لا يتحمل الشدائد والمصائب.

سادساً: الأمور التي تترتب على مذهب الجبرية والقدرية:

يترتب على مذهبهم أمورٌ خطيرة:

١ - يلزم على مذهب القدرية: إثبات خالقين مع الله، وهذا شركٌ في الربوبية؛ ولهذا سُمُّوا «مجوس هذه الأمة».

٢ - ويلزم على مذهب الجبرية: وصفُ الله بالظلم، وأنه يُعَذِّبُ العبادَ على شيءٍ لم يفعلوه، بل فعله هو، فالله يُعَذِّبُهُمْ على شيءٍ لم يفعلوه! وهم يُحَرِّكُونَ بغير اختيارهم، وبغير إرادتهم، فهذا فيه وصفُ الله - جلَّ وعلا - بالظلم؛ لأنه عَذَّبَ عِبَادَهُ على شيءٍ لم يفعلوه، وإنما عَذَّبَهُمْ على فعله هو!

ولا يخفى فسادُ هذا المذهبِ الباطلِ، فالله - جلَّ وعلا - يقول: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وَرَبَطَ الْعَذَابَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَرَبَطَ الثَّوَابَ بِالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ، فَاللهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴿[النساء: ٤٠]﴾، بَلْ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-. وَمِنْ عَدْلِهِ أَنَّهُ لَا يُضَاعِفُ السَّيِّئَةَ، بَلْ يَجْزِي بِمِثْلِهَا فَحَسْبُ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ يُضَاعِفَ الْحَسَنَةَ مِنْ عِنْدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، فَالْمُضَاعَفَةُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى عَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، أَمَّا السَّيِّئَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِي بِهَا فَحَسْبُ وَلَا يُضَاعِفُهَا^(١)، وَهَذَا مِنْ عَدْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

لَكِنَّ الْجَبَرِيَّةَ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالظُّلْمِ؛ وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ الْعِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِ هُوَ، وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا، وَإِنَّمَا هُمْ مُحَرَّكُونَ كَالْآلَةِ وَالرَّيْشَةِ فِي الْهَوَاءِ! وَهَذَا مَذْهَبُ بَاطِلٍ...

٣- وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ:

تَعْطِيلُ الْأَسْبَابِ، وَأَنْ يُقَالَ: مَا دَامَ إِنَّهُ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ فَأَنَا أَجْلِسُ وَالْمُقَدَّرُ سَيَكُونُ. فَهَذَا مِنْ سَلَبِيَّاتِ مَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ.

٤- وَيَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ -كَمَا سَبَقَ أَيْضًا-: الشُّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

٥- وَيَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مَحْظُورٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ: تَعَجُّيزُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ وَلَا يَشَاءُ! وَهَذَا وَصَفُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- بِالْعَجْزِ، وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ.

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٧) (١٣١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا وَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

فَكَيْلَا الْمَذْهَبِينَ بَاطِلٌ وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ مَحَازِيرُ كَبِيرَةٌ.

وَأَمَّا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَهُوَ الْوَسْطُ، وَهُوَ الْعَدْلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ دَائِمًا وَسْطٌ؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: هَذِهِ الْأُمَّةُ وَسْطٌ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسْطٌ بَيْنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ: فَهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ أَفْعَالَهُ وَإِرَادَتَهُ وَمَشِيَّتَهُ وَقَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ، وَيُثْبِتُونَ لِلْعِبَادِ أَعْمَالَهُمْ وَمَشِيَّتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ، تَمَشُّيًا مَعَ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلَا يَنْفُونَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَرِلَةُ، وَلَا يَغْلُونَ فِي إِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَيَسْلِبُونَ الْعِبَادَ مَشِيَّتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ، كَمَا تَقُولُهُ الْجَبَرِيَّةُ.

وَهُنَا مَسْأَلَةٌ: وَهِيَ: هَلِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ يُحَكِّمُ عَلَيْهِمُ بِالْكُفْرِ؟

الْجَوَابُ: الْعُلَمَاءُ فَصَّلُوا فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا:

١- مَنْ أَنْكَرَ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى، وَهِيَ: الْعِلْمُ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وُجُودِهَا، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهَا إِذَا وُجِدَتْ فَحَسَبُ. مَنْ قَالَ بِهَذَا كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ نَفَى عِلْمَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

لَكِنْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ يَنْفِي الْعِلْمِ انْقَرَضُوا. كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي «الْوَاسِطِيَّةِ»^(١).

٢- أَمَّا بَقِيَّةُ الْمُعْتَرِلَةِ فَيُثْبِتُونَ عِلْمَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- الْأَرْلِيَّ، وَلَكِنْ يَنْفُونَ الْقَدَرَ، فَهُمْ أَهْلُ ضَلَالٍ، وَلَا يَصِلُونَ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا عِلْمَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَأَثْبَتُوا الْكِتَابَةَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّمَا نَفَوْا الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ، يَعْنِي:

(١) انظر «العقيدة الواسطية» (ص ١٦٤) بشرح المؤلف حفظه الله تعالى.

أَبْتُوا الْعِلْمَ وَالْكِتَابَةَ وَعَلُّوا فِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَقَالُوا: إِنَّهَا تَقَعُ بِغَيْرِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَمُشِيئَتِهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَهَذَا مَوْجُودٌ وَمُسْتَوْرٌ فِي الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ أَخَذَ مَذْهَبَهُمْ مِنْ الطَّوَائِفِ الضَّالَّةِ.

فَهَذِهِ نِقَاطٌ مُخْتَصِرَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ، وَلَكِنْ حَسَبُ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْمَبَادِيَّ وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا، وَلَا يَتَوَغَّلَ فِي الْبَحْثِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَلَا يَفْتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ التَّسَاؤُلَاتِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ؛ لَأَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ سَرُّ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- فِي خَلْقِهِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ مِنَ التَّسَاؤُلَاتِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَمَشَّى مَعَ مَدْلُولِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَتُثَبِّتَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ وَتَعْرِفَ أَدْلَتَهُ، وَتَعْرِفَ حُكْمَ مَنْ أَنْكَرَهُ.

وَبَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ، وَهِيَ: مَسْأَلَةُ: «الاحتجاج بالقدر».

وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا لَقِيَ أَبَا الْبَشَرِيَّةِ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَامَهُ وَقَالَ لَهُ ^(١): «لَمْ أَخْرِجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟!» فَقَالَ: «أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ، يَكْفِيكُمْ

(١) قصة محاجة آدم وموسى، رواها البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٠١٥)،

ومسلم (١٤، ١٥) (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن أبي العز: (إنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب لا عند

المعائب، وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث) اهـ. انظر «شرح الطحاوية» (ص ١٣٥، ١٣٦)

لو عدلت إلى: (فموسى -عليه السلام- في الظاهر لَمْ آدَمَ عَلَى الْمَصِيبَةِ وَهِيَ الْخُرُوجُ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَلْمُهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَهِيَ الْأَكْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَاحتجَّ عَلَيْهِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَحَجَّهَ وَغَلَبَهُ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ الْاحتِجَاجُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ دُونَ الدُّنُوبِ وَالْمَعَايِبِ.

وَجَدَتْ هَذَا مَكْتُوبًا عَلَيَّ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ» فقال مُوسَى - ما معناه -: إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

فَالْجَبْرِ يُأْخَذُوا هَذَا، وَقَالُوا: هَذَا دَلِيلٌ لِلْجَبْرِيةِ أَنَّ آدَمَ حَجَّ مُوسَى بِأَنَّ مَا حَصَلَ مِنْهُ لَيْسَ بِاخْتِيَارِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِعْلُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - !.

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا الْحَدِيثَ، فَمُوسَى لَمْ يَلْمِ آدَمَ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَإِنَّمَا لَامَهُ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ: «لَمْ أَخْرِجْتَنَا وَنَفْسُكَ مِنَ الْجَنَّةِ»، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ آدَمُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالِاحْتِجَاجُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّهُ يُسَهِّلُهَا عَلَى الْإِنْسَانِ، فَلَا يَجْزَعُ، وَلَا يَسْخَطُ، فَمُوسَى لَمْ يَسْأَلْهُ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، لَمْ يَقُلْ: لِمَ أَقْدَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ كَذَا؟ وَإِنَّمَا قَالَ: «لَمْ أَخْرِجْتَنَا؟!» فَالسُّؤَالُ مَنْصَبٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي تَرْتَبُتْ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْ آدَمَ مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ.

وَمُوسَى لَمْ يَلْمُهُ عَلَى الذَّنْبِ؛ لَمْ يَقُلْ لَهُ: لِمَ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ؟ لِأَنَّهُ تَابَ مِنْ ذَلِكَ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالتَّائِبُ لَا يُلَامُ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ، وَإِنَّمَا لَامَهُ عَلَى الْإِخْرَاجِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ أَصَابَتْ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ.

فَادُّمُ احْتَجَّ عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالِاحْتِجَاجُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ مَشْرُوعٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(١).

فِيُحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا اخْتِيَارٌ، وَإِنَّمَا هِيَ فِعْلُ اللَّهِ.

أَمَّا الْمَعْصِيَةُ فَإِنَّهَا فِعْلُكَ أَنْتَ فَلَا تَحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

ولهذا قَالَ الْعُلَمَاءُ: «يُحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى الْمَعَائِبِ»^(١). وَهَذَا هُوَ الْفَضْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ.

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ): مِنْ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -
(أَيُّقِنْ): أَيُّ: آمِنَ بِهِ وَاعْتَقَدَ.

(فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ): دِعَامَةٌ، يَعْنِي: رُكْنٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ
الْإِيمَانِ.

قَوْلُهُ: (عَقِدِ الدِّينَ)؛ لِأَنَّ الدِّينَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

١ - مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ، بِأَرْكَانِهِ الْخَمْسَةِ.

٢ - وَمَرْتَبَةُ الْإِيمَانِ، بِأَرْكَانِهِ السَّتَّةِ.

٣ - وَمَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ رُكْنٌ وَاحِدٌ.

قَوْلُهُ: (وَالدِّينُ أَفِيحٌ): الْأَفِيحُ: الْمَكَانُ الْوَاسِعُ، فَالدِّينُ وَاسِعٌ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -
وَشَامِلٌ.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٥٤)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٥٤) ط. المكتب

[الإيمان باليوم الآخر]

٢٩- وَلَا تَنْكُرُنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا

وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تَنْصَحُ

الشرح:

هَذَا الْبَيْتُ وَمَا بَعْدَهُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ: الْيَوْمُ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الدُّنْيَا، وَهُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَيَوْمُ الدِّينِ.

وَالْإِيمَانُ بِهِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَّةِ، الَّتِي جَاءَتْ فِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ مَجِيءِ جَبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحَضْرَةِ أَصْحَابِهِ، يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ، وَعَنِ الْإِحْسَانِ، وَعَنِ السَّاعَةِ، فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ السَّتَّةُ تَارَةً تَأْتِي جَمِيعًا فِي الْقُرْآنِ، وَتَارَةً يَأْتِي بَعْضُهَا.

وَكَثِيرًا مَا يَأْتِي الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مُفْتَرَيْنِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٤٤].

وَتَارَةً تَأْتِي أَرْكَانَ الْإِيمَانِ فِي الْقُرْآنِ مُجْتَمِعَةً، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، مَنْ أَنْكَرَهُ كَفَرَ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يُوجَدُ بَعْثٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَحَسْبُ! فَهَذَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]: فَاللَّهُ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُقَسِّمَ بِرَبِّهِ أَنَّهُ سَيَبْعَثُهُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿زَعَمَ﴾: الزَّعْمُ هُوَ الْكَذِبُ، يَعْنِي كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ هَذَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:

[٢٤].

وَقَالَ: ﴿أَبَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ [٣٥] هَيَاتَ هَيَاتَ

لِمَا تَعْدُونَ [٣٦] إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ [٣٧] [المؤمنون:

[٣٧، ٣٥].

هَكَذَا مَقَالَةُ الْكُفَّارِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَلَيْسَ لَهُمْ حُجَّةٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: كَيْفَ يُبْعَثُ النَّاسُ إِذَا مَاتُوا وَصَارُوا تُرَابًا؟! فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ!

﴿قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! هُمْ مِنْ قَبْلِ كَانُوا غَيْرَ مَوْجُودِينَ أَصْلًا، ثُمَّ خَلَقَهُمُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-، فَالَّذِي خَلَقَهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ قَادِرٌ مِنْ بَابِ أُولَى عَلَى إِعَادَتِهِمْ. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، فَالْزَّانُ مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّدِّ عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ.

وَأَيْضًا: لَوْ لَمْ يُوجَدْ بَعْثٌ وَجَزَاءٌ عَلَى الْأَعْمَالِ لَكَانَ خَلْقُ الْخَلْقِ عَبَثًا، كَيْفَ يَخْلُقُهُمْ وَيَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ أَوْ الْأَعْمَالَ الْكُفْرِيَّةَ ثُمَّ يَمُوتُونَ وَيُتْرَكُونَ؟! هَذَا لَا يَلِيقُ بِعَدْلِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿[المؤمنون: ١١٥، ١١٦]: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا، فَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- لَا يَدَّ أَنْ يَبْعَثَ النَّاسَ، وَيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَيُجَازِيَ الْمُؤْمِنَ بِإِيمَانِهِ، وَيُجَازِيَ الْكَافِرَ بِكُفْرِهِ، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) [ص: ٢٧، ٢٨]: كُلُّهُمْ يَمُوتُونَ وَلَا يُعْتَوْنَ وَلَا يُجَازُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟! حَاشَا وَكَلَّا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ هَدَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْعَصَاةَ بِأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ وَيُحَاسَبُونَ وَيُجَازُونَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ لَا يَدَّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَالْدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ. هَذِهِ حِكْمَةُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: مِنْ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمِهِ، وَمِنْ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْبَعْثِ

للمَحْشَرِ وَالْوُقُوفِ فِي الْمَحْشَرِ، وَمَا يَجْرِي بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَدْلَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، بَلْ هُوَ الْإِيمَانُ: فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ؛ لِأَنَّا لَمْ نَرِ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْجَنِّ وَالشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

وَالْإِيمَانُ بِمَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

وَالْإِيمَانُ بِمَا وَقَعَ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لَمْ نَرَهُ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

فَالْغُيُوبُ إِمَّا مَاضِيَةٌ وَإِمَّا مُسْتَقْبَلَةٌ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [البقرة: ١-٣]، بَدَأَ بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَإِنْكَارُ الْبَعْثِ يُلْزَمُ مِنْهُ إِنْكَارُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَإِنْكَارُ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْكَارُ كُلِّ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْمُشَاهَدَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذَا قَوْلُ الدَّهْرِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ وَالْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْغَيْبِ.

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُويَّ عَلَيْهِ التُّرَابُ وَانْصَرَفَ عَنْهُ النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، وَيَسْأَلَانِيهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا

دينك؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟^(١).

ثَلَاثَةُ أَسْئَلَةٍ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا بِجَوَابٍ صَحِيحٍ نَجَا وَفَارَزَ وَأَفْلَحَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْجَوَابَ خَابَ وَخَسِرَ، وَضَلَّ سَعْيُهُ.

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وَلَا تُنْكِرُنَّ جَهْلًا): يَعْنِي: الشَّيْءُ الَّذِي تَجْهَلُهُ لَا تُنْكِرُهُ، فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ تَجْهَلُهُ تُنْكِرُهُ، بَلْ تُوْمَنُ بِمَا صَحَّ وَبِمَا ثَبَتَ وَإِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ وَلَمْ تُدْرِكْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يونس: ٣٩] فالواجب أَنْ تُوْمَنَ بِمَا صَحَّ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ وَتَتَصَوَّرْهُ، فَإِنَّ هَذَا لَهُ مُسْتَقْبَلٌ يَقَعُ فِيهِ ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُنْتَفَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، فالأنباء والأخبارُ الَّتِي أُخْرِئْتُمْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَقْتُ، إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ ظَهَرَ، فَوَاجِبُنَا الْإِيمَانُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - الَّذِي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢) إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿﴾ [النجم: ٣، ٤]، فَلَا نَعْتَمِدُ عَلَىٰ عُقُولِنَا، وَإِنَّمَا نَعْتَمِدُ فِي أُمُورِ الْغَيْبِ عَلَى الْوَحْيِ الْمُنْزَلِ، وَلَا نَتَدَخَّلُ بِعُقُولِنَا وَأَفْكَارِنَا. وَأُمُورُ الْبَرَزَخِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَلَوْ كَشَفْنَا عَنْ الْعَبْدِ بَعْدَ وَضْعِهِ فِي قَبْرِهِ لَوَجَدْنَاهُ كَمَا وَضَعْنَاهُ، وَلَكِنْ هُوَ فِي حُكْمِ عَالَمٍ آخَرَ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ لَا نَرَاهُ، وَلَا نُحِسُّ بِهِ؛ لِأَنَّهُ فِي عَالَمٍ آخَرَ، مُغَيَّبٌ عَنَّا.

(١) حديث: سؤال الملكين، رواه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٧٠) (٢٨٧٠) من

حديث أنس رضي الله عنه، و(٧٣) (٢٨٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

قوله: (نَكِيرًا وَمُنْكَرًا): اسمان للملكين الذين يأتیان للميت فور دفنه، فتعادُ رُوحُه في جسده ويُجلَسَانِه حَيًّا، حَيَاةَ بَرَزَخِيَّةٍ لَيْسَتْ مِثْلَ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَيَاةُ الْآخِرَةِ؛ حَيَاةٌ أُخْرَوِيَّةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَتَسَمِيَتُهُمَا بِالنَّكَرِ وَالنَّكِيرِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ ^(١)، فِيهِ تَسْمِيَةٌ ثَابِتَةٌ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا هَذَيْنِ الْمَلَائِكَةِ مُفْزَعَةٌ يَسْتَنْكِرُهَا الْإِنْسَانُ وَيَفْزَعُ مِنْهَا، فَهُمَا يَأْتِيَانِ بِصُورَةٍ لَا يَعْرِفُهَا فِي حَيَاتِهِ، وَلَا يَأْلُفُهَا، فَهَذَا وَجْهُ تَسْمِيَتِهِمَا مُنْكَرًا وَنَكِيرًا، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ يُنْكَرُ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ وَيَقُولُ: هَذَا سَبٌّ لِلْمَلَائِكَةِ.

نقول: هَذَا لَيْسَ سَبًّا لِلْمَلَائِكَةِ، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ أَنَّ الَّذِي يَأْتِيَانِهِ يَسْتَنْكِرُهُمَا، فَسُمِّيَا بِالنَّكَرِ وَالنَّكِيرِ.

قوله: (إِنَّكَ تُنْصَحُ): يعني: أَنَا أَنْصَحُكَ أَلَّا تُنْكَرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَالَّذِينَ النَّصِيحَةُ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» ^(٢).

فَالنَّاظِمُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَقُولُ: أَنَا أَنْصَحُكَ أَلَّا تُنْكَرَ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ كَمَا أَنْكَرَهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَأَهْلُ الضَّلَالِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عُقُولِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، فَلْتَحْذَرِ مِنْ طَرِيقَتِهِمْ وَاتَّبِعِ النُّصُوصَ، وَآمِنْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ

(١) ورد في تسمية الملكين الذين يسألان الإنسان في قبره بهذين الاسمين عدة أحاديث مرفوعة وموقوفة عن عدد من الصحابة، منهم أبو هريرة رضي الله عنه عند الترمذي (١٠٧١) وقال حسن غريب والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤/٥) وعن معاذ رضي الله عنه عند البزار (٩٧/٧)، والبراء رضي الله عنه عند البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٨/١) والطبراني في «تهذيب الآثار» (٥٠٠/٢)، وعن أبي الدرداء موقوفاً عليه عند ابن أبي شيبة (٥٣/٣).

(٢) رواه مسلم (٩٥) (٥٥)، عن تميم الداري رضي الله عنه .

النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ، وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

وَأُمُورُ الْغَيْبِ الَّتِي تَخْدُثُ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا، هِيَ:
أَوَّلًا: مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ:
مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِلَى الْمَيِّتِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ جَاءَ إِلَيْهِ فِي قَبْرِهِ وَنَحْنُ لَا نَرَاهُمْ؟

الْجَوَابُ: اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنْتَ فَقَدْ غُيِّبْتَ عَنْكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ، فَالْمَلَائِكَةُ يَأْتِيَانِهِ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُمَا، وَهَلْ أَنْتَ تَرَى رُوحَكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي جَسَدِكَ؟ هَلْ تَرَى كُلَّ شَيْءٍ؟ تُوجَدُ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ لَا تَرَاهَا، هَلْ تَرَى الْعَقْلَ الَّذِي يُمَيِّزُكَ عَلَى غَيْرِكَ؟ مَا كُلُّ شَيْءٍ لَا تَرَاهُ لَيْسَ صَحِيحًا، هَذَا كَلَامُ الْمَادِّيِّينَ الطَّبَائِعِيِّينَ، أَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُمْ يَتَسَعَّ إِيْمَانُهُمْ لِكُلِّ مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَلَا يَتَدَخَّلُونَ فِيهِ بِعَقُولِهِمْ.

فَالْمَلَائِكَةُ يَأْتِيَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ وَيَسْتَنْطِقَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: «أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَقْرِئُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَوَسَّعُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ» فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيَرَى مَنَزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»^(١)، فَيَصِيرُ قَبْرُهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كُنَّا لَا نَشَاهِدُ هَذَا، وَقَدْ يُشَاهِدُهُ بَعْضُ مَنْ يُطْلِعُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ بِإِلَازِمٍ.

(١) رواه أبو داود في «السنن» (٤٧٥٣) وأحمد في «المسند» (٤/٢٨٧)، والطيالسي

(١/١٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/٣٥٨) من حديث البراء بن عازب الطويل رضي الله عنه،

وانظر كتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي.

-وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْمُرْتَابُ -الَّذِي عَاشَ عَلَى الشَّكِّ فِي الدُّنْيَا- فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الشَّكِّ، فَإِذَا سَأَلَاهُ وَقَالَا: «مَنْ رَبُّكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي، «مَا دِينُكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُه، «مَنْ نَبِيُّكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي.

لأنه في الدنيا لم يؤمن بقلبه، وإنما تكلم بلسانه، «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُه»، قالها من باب المجارة لهم، وهذا هو المنافق الذي يقول ما يقوله المصلون، ويصلي ويصوم، ولكن ليس في قلبه إيمان، إنما يفعل هذا من باب المداورة ومن باب التقيّة؛ لأجل أن يعيش مع المسلمين فحسب وهو لم يؤمن بقلبه.

ولو كان فصيحاً متعلماً، يحفظ المتون والأسانيد، فإنه في القبر يتلعثم ولا يستطيع أن يتكلم ويغيب عنه الجواب ويقول: لَا أَدْرِي، ولكن سمعت الناس يقولون شَيْئاً فَقُلْتُه مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفَ هَذَا الشَّيْءَ واعتقده، فينادي مُنَادٍ: «أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ»، فيأتيه من حرّها وسُمومها، ويضيق عليه قبره حتّى تَخْتَلِفَ أَعْضَاؤُهُ -والعياذ بالله- ويصبح قبره حُفْرَةً من حفرِ النَّارِ، فيقول: «يَا رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»؛ لأنه يعلم أنه إذا قامت الساعة فما بعدها أشدّ مما هو فيه، والعياذ بالله.

وهذا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، كما أنهم عاشوا على القول الثابت في الدنيا، والإيمان الصادق فإن الله يُثَبِّتُهُمْ فِي الْقَبْرِ وَعِنْدَ السُّؤَالِ، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِجَابَةَ.

والأحاديث في هذا متواترة عن النبي ﷺ^(١)، وأهل السنة والجماعة مُجمعون عليه، ولم يُنكره إلا المعتزلة الذين يعتَمِدُونَ على عُقولهم، وكذا العقلانيون الآن الذين هم أفرأخ المعتزلة هم على هذا المذهب.

ثانياً: الحَوْضُ:

قول النَّاطِم -رحمه الله تعالى-: (وَلَا الْحَوْضُ): الحَوْضُ: هو حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ، فإنه تواترت الأحاديث^(٢)، أن للنبي ﷺ حَوْضاً «طَوَّلَهُ شَهْرٌ، وَعَرَّضَهُ شَهْرٌ، مَأْوُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، كَيَزَانُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ»^(٣)، ترد عليه أمته، ويشربون منه، ويُذاد عنه كلُّ مبتدع، وكلُّ مرتد، فالمرتدُّ يُذاد عنه، ولا يَرِدُ على الرسول ﷺ، وإذا سأل عنهم ﷺ لماذا رُدُّوا؟ يُقال له: «لأنَّهم مَا زَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»^(٤)، وفي الصنف الثاني يُقال:

(١) قال ابن أبي العز: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به. انظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٥٠) ط. المكتب الإسلامي.

(٢) انظر طرقها ومن رواها من الصحابة في «فتح الباري»، وقال الحافظ ابن حجر: فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً وزاد عليها النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء، فزادت العدة على الخمسين، ثم قال: وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها على رواية ثمانين صحابياً. انظر «الفتح» (١١/ ٤٧٧) ط. الريان.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٧) (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٧) (٢٢٩٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

«فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي مَادًّا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ»^(١).

فكُلُّ مَنْ أَحَدَّثَ بَدْعَةً فِي الدِّينِ؛ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْحَوَارِجِ وَالشَّيْعَةِ وَسَائِرِ الطَّوَائِفِ الضَّالَّةِ الَّذِينَ أَحَدَّثُوا فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حَرِيُّونَ أَنْ يُذَادُوا عَنْ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُذَادُ عَنْهُ كُلُّ مُبْتَدِعٍ وَكُلُّ مُرْتَدٍّ عَنْ دِينِهِ، وَلَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، الثَّابِتُونَ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّادِقِ فِي الدُّنْيَا وَمَاتُوا عَلَيْهِ، هَؤُلَاءِ يَرُدُّونَ الْحَوْضَ، وَيَشْرَبُونَ مِنْهُ شَرْبَةً، لَا يَظْمَأُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا. هَذَا هُوَ حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ.

فَالَّذِي تَمَسَّكَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ فِي الدُّنْيَا، وَعَمَلَ بِهَا يَرُدُّ عَلَى حَوْضِهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ، وَالَّذِي أَعْرَضَ عَنِ السُّنَّةِ وَابْتَدَعَ الْبَدْعَةَ أَوْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ فَإِنَّهُ يُصَرَفُ وَيُطْرَدُ عَنِ الْحَوْضِ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ حَاجَةً إِلَى الْمَاءِ.

ثالثاً: الميزان:

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وَالْمِيزَانُ): وَهُوَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ، لَهُ كِفَتَانِ^(٢)،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٧٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٨) (٢٢٩٤) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضاً (٢٩) (٢٢٩٥) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَ(٣٢) (٢٢٩٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قَالَ ابْنُ أَبِي الْعَازِ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص ٤٧٥): (فَثَبَتَ وَزَنَ الْأَعْمَالُ وَالْعَامِلُ وَصَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَثَبَتَ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَتَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ).

وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الْكِفَتَيْنِ فِي عِدَدٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (١٠٢/١٤) (٦٢١٨)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢٢٨/١) وَصَحَّحَهُ، وَفِيهِ: «يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامَرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَرَوَى أَحْمَدُ (١٦٩/٢)، (١٧٠) نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الْكِفَّةِ فِي حَدِيثِ الْبَطَّاقَةِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٣٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٣٠٠)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٦/١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تَوْضَعُ الْحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالسَّيِّئَاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣) [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (١) [القارعة: ٦-٩]، يَعْنِي: مَوَازِينَ أَعْمَالِهِ، فَتَوْضَعُ حَسَنَاتُهُ فِي كِفَّةٍ وَسَيِّئَاتُهُ فِي كِفَّةٍ، فَأَيُّهُمَا رَجَحَ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ جَزَاءَهُ بِمَوْجِبِ ذَلِكَ مِنْ رُجْحَانِ الْحَسَنَاتِ أَوْ رُجْحَانِ السَّيِّئَاتِ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، بَلْ يُجَازِي الْإِنْسَانَ بِعَمَلِهِ.

وهو ميزانٌ حقيقيٌّ.

وَالْمُعْتَرِزَةُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مِيزَانٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ إِقَامَةُ الْعَدْلِ، فَهُوَ مِيزَانٌ مَعْنَوِيٌّ، مَعْنَاهُ الْعَدْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ!

وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ إِلَّا عَقُولُهُمْ، فَهَمْ يُنْكِرُونَهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا الْمِيزَانَ، وَهَمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَهَذِهِ آفَةُ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْعَقُولِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى عَقْلِهِ، وَالْعَقْلُ دَلِيلٌ؛ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ، هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ، فَالْأُمُورُ الْمَغْيِبَةُ لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ، فَلَا تُحَكِّمُ عَقْلَكَ فِيهَا، وَإِنَّمَا يُعْتَمَدُ فِيهَا عَلَى الدَّلِيلِ فَحَسْبُ، فَهَذَا وَجْهُُ إِنكَارِهِمْ لَهُ، وَعَلَى مَذْهَبِهِمُ الْبَاطِلُ أَنَّ الَّذِي لَا يُشَاهِدُونَهُ وَلَا يَرُونَهُ أَنَّهُمْ يَنْكِرُونَهُ، أَوْ يُؤُولُونَهُ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ.

وَهَمْ لَا يُنْكِرُونَ لَفْظَ الْمِيزَانِ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ^٤ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ [الأعراف: ٨، ٩]
 وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا
 مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩]، فلا ينكرون
 لفظ الموازين، ولكن يُفسّرونها ويُحرّفونها عن معناها؛ كما هو حالهم مع سائر
 النصوص، يُحرّفونها عن معناها الصحيح، أما أهل الحق فإنهم يؤمنون بها على
 حقيقتها، ويكلمون كيفيتها إلى الله -جلّ وعلا-.

[خُرُوجُ الْمُوحِّدِينَ مِنَ النَّارِ]

٣٠- وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ

مِنَ النَّارِ أَجْسَاداً مِّنَ الْقَحْمِ تُطْرَحُ

٣١- عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ

كَحَبِّ حَمِيلِ السَّبِيلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

الشرح:

هَذِهِ مَسْأَلَةُ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوحِّدِينَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ كِبَائِرٌ وَلَكِنَّهَا دُونَ الشَّرِكِ، فَهَؤُلَاءِ يُعْتَبَرُونَ مُؤْمِنِينَ مُوَحِّدِينَ، وَلَكِنَّ إِيمَانَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ نَاقِصٌ، فَإِنَّهُمْ لَا يُخْرَجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَهُمْ تَحْتَ الْمَشْيِئَةِ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَفَرَ لَهُمْ وَلَمْ يُعَذِّبْهُمْ، وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ عَذَّبَهُمْ. وَلَكِنَّهُمْ لَا يُخْلَدُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُخْلَدُ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ تَعْذِيبِهِمْ: إِمَّا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَإِمَّا بِفَضْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَإِمَّا بَانْتِهَاءِ عَذَابِهِمْ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ قَطْعًا.

فَالنَّارُ يَدْخُلُهَا الْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ، وَقَدْ يَدْخُلُهَا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ بِذُنُوبِهِ، وَلَكِنَّ الْكَافِرَ وَالْمُشْرِكَ يُخْلَدَانِ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الْمُوَحِّدُ وَالْمُؤْمِنُ فَلَا يُخْلَدُ فِيهَا إِذَا دَخَلَهَا. هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

-الخَوَارِجُ يَقُولُونَ: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِذَا مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَهُوَ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ مِثْلَ الْكَفَّارِ.

-وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ، فَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

وَكِلَا الْمَذْهَبَيْنِ بَاطِلٌ وَصَالٌّ وَمُخَالَفٌ لِلْأَدَلَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «... انْطَلِقْ: فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ»^(١)، وَقَالَ ﷺ: «وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيْمَانِ»^(٢)، وَيُخْرَجُ وَقَدْ احْتَرَقَ وَصَارَ فَحْمًا، فَيُوضَعُ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبَتُ جَسَدُهُ كَمَا يَنْبَتُ الْعُشْبُ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

قَوْلُ النَّازِمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (مِنْ الْفَحْمِ): تَتَفَحَّمُ أَجْسَادُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَيُعِيدُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- تِلْكَ الْأَجْسَادَ وَيُعِيدُ فِيهَا الْحَيَاةَ، ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ.

قَوْلُهُ: (عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ): الْفِرْدَوْسُ هُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَوَسَطُ الْجَنَّةِ، وَيَجْرِي مِنْهُ هَذَا النَّهْرُ.

قَوْلُهُ: (كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذَا جَاءَ يَطْفَحُ): كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أَوْنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ صَبَائِرُ صَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

السَّيْلُ»^(١)، (ضباطر): يعني: جماعات محترقين، فيُلْقَوْنَ في نَهْرٍ من أنهار الجنة يُسَمَّى نَهْرَ الْحَيَاةِ، فَيَحْيَوْنَ كما يحيا الحبُّ الذي يحمله السَّيْلُ، فالسَّيْلُ إذا جَرَى في الأودية يَحْمِلُ معه البذورَ، فَيَطْرَحُهَا في الأرض فتَنْبُتُ، كذلك يُطْرَحُونَ في نهر الحياة فتَنْبُتُ أجسامُهم، ثم بعد ذلك يَدْخُلُونَ الجنةَ.

قوله: (كَحَبِّ حَمِيلٍ): يعني: الحبُّ الذي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ.

(يَطْفَحُ): عليه ثم يَسْتَقِرُّ في الأرض، ثم يَنْبِتُ وَيُصْبِحُ شَجَرًا حَيًّا.

(١) رواه مسلم (٣٠٦) (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٣٢- وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ

وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

الشرح:

ذَكَرَ النَّاطِقُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْآيَاتِ السَّابِقَةِ عِدَّةَ

مَسَائِلَ:

الْأُولَى: سُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ.

الثَّانِيَّةُ: عَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ.

الثَّالِثَةُ: وَزْنُ الْأَعْمَالِ.

الرَّابِعَةُ: حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ.

الخَامِسَةُ: مَسْأَلَةُ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلِ.

وَالسَّادِسَةُ: مَسْأَلَةُ الشَّفَاعَةِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

وَالشَّفَاعَةُ مَعْنَاهَا: الْوَسَاطَةُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ عِنْدَ مَنْ هِيَ عِنْدَهُ، وَالشَّفَاعَةُ تَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ، وَتَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ، وَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَخْتَلِفُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ النَّاسِ، فَالنَّاسُ تَشْفَعُ عِنْدَهُمْ وَلَوْ لَمْ يَأْذِنُوا لَكَ، وَأَمَّا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فَلَا أَحَدَ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَيَأْذُنُ

لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، أَيْ مِنْ عُصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا شَفَاعَةَ فِيهِ، وَلَا تُقْبَلُ فِيهِ شَفَاعَةٌ، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاسِبٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، فَالْكَافِرُ لَا تُقْبَلُ فِيهِ شَفَاعَةٌ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وَلَوْ بَذَلَ الْكَافِرُ أَمْوَالَ الدُّنْيَا يُرِيدُ الْفِدْيَةَ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]، لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَدْلٌ، وَهُوَ الْمَالُ الَّذِي يَفْتَدُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا يُقْبَلُ فِيهِمْ شَفَاعَةُ أَحَدٍ، بَلْ هُمْ قَطْعًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ خَالِدِينَ مُخَلَّدُونَ فِيهَا.

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِشَرَطَيْنِ:

الأول: إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

الثاني: أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ عُصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَتَشْفَعُ عِنْدَهُ وَلَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَكَ بِالشَّفَاعَةِ، وَلَوْ لَمْ يَرْضَ عَنْ الْمَشْفُوعِ فِيهِ، قَدْ يُبْغِضُ الْمَشْفُوعَ فِيهِ وَيُودُّ أَنْ يَقْتُلَهُ، أَوْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ، وَلَا يَرْضَى عَنْهُ، وَلَكِنْ يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ فِيهِ مُضْطَرًّا؛ لِحَاجَتِهِ لِلنَّاسِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ، فَلَوْ رَدَّ شَفَاعَتَهُمْ لَتَنَكَّرُوا عَلَيْهِ، فَهُوَ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَأْذَنْ، وَلَوْ كَانَ لَا يَرْضَى عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ.

أَمَّا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يُشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا فِي عُصَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ. هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّفَاعَتَيْنِ.

فَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ حَقٌّ بِهِذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ فِيهَا الشَّفَاعَةُ فِي الْكُفَّارِ، أَوْ الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ.

فَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ - كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ - : شَفَاعَةُ مُثَبَّتَةٌ، وَشَفَاعَةُ مَنْفِيَّةٌ^(١). قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاسِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

قَدْ يَأْتِيكَ مَنْ يَقُولُ: الشَّفَاعَةُ لَا تُقْبَلُ بِدَلِيلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

فَنَقُولُ: هُنَاكَ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى قَبُولِ الشَّفَاعَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَرَّضَ﴾ [النجم: ٢٦]، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى قَبُولِ الشَّفَاعَةِ بِالشَّرْطَيْنِ: أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِهَا، وَأَنْ يَرْضَى عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ.

فَلَيْسَتْ كُلُّ الشَّفَاعَةِ مُثَبَّتَةً، وَلَيْسَتْ كُلُّهَا مَنْفِيَّةً، لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ عَلَى حَسَبِ مَا جَاءَ فِي الْأَدِلَّةِ.

وَالْقُرْآنُ لَا يُضْرَبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْآيَاتِ وَيُفَقَّحُ بَيْنَهَا، وَيُفَسَّرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَيُقَيَّدُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. هَذِهِ طَرِيقَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

فَلَا يُؤْخَذُ طَرَفٌ، وَيُقَالُ: الشَّفَاعَةُ ثَابِتَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ. كَمَا يَقُولُ الْقُبُورِيُّونَ

(١) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتاب التوحيد (ص ٢٨٣) مع فتح المجيد ط. قرطبة. ومسانل كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٨٨) مع فتح المجيد ط. دار قرطبة. المسألة الثانية والثالثة.

والمشركون من قبل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، يطلبون الشفاعة وهم يُشركون بالله! هذه شفاعة باطلة منفية.

وهناك مَنْ يُنكر الشفاعة مطلقاً كالمعتزلة والخوارج.

أما أهل السنة فهم وَسَطٌ في هذا الباب، فقالوا: الشفاعةُ شفاعتان:

١ - شفاعة منفية.

٢ - وشفاعة مثبتة.

فنحنُ لَا نُنكرُ الشفاعةَ مطلقاً، وَلَا نُثبتها مطلقاً، بل لَا بدَّ من التفصيل؛ جمعاً بين الآيات في هذا الباب. هذا هو الفقه في دين الله - عزَّ وجلَّ -، وهذه طريقة الراسخين في العلم.

قولُ النَّازِم - رحمه الله تعالى -: (وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ): الشفاعةُ المثبتة أنواعٌ: منها ما هو خاصٌّ بالنبي ﷺ، ومنها ما هو مُشتركٌ بينه وبين غيره من الملائكة، والأولياء والصالحين، والأفراط.

فأما الخاصُّ بالنبي ﷺ فهو عدة شفاعات:

الشفاعةُ الأولى: الشفاعةُ العظمى، فهو ﷺ يَشْفَعُ في الخلق يومَ القيامة الشفاعةُ العظمى، حينما يطولُ الموقفُ والحشرُ على الناسِ، وهم وقوفٌ على أقدامهم، شاخصةٌ أبصارُهم، خُفاةٌ عراةٌ، تدنو منهم الشمسُ، ويأخذُ منهم العرقُ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فَيَقْدَمُونَ يطلبون مَنْ يَشْفَعُ لهم عندَ الله أَنْ

يُريحهم من الموقف^(١)، فَيَأْتُونَ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ، وَيَقُولُونَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضْبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ»، فَيَعْتَذِرُونَ عَنِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، حَتَّى يَأْتُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا»، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- وَيَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَحْمَدُهُ بِمَحَامِدٍ، وَيَدْعُوهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، حَتَّى يُقَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَسَلِّ تَعَطُّهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ»، فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ، فَيَقْبَلُ اللَّهُ شَفَاعَتَهُ.

فَالرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَشْفَعْ إِلَّا بَعْدَ الْاسْتِثْنَاءِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَلْقِ ﷺ، فَيَشْفَعُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ أَلْوَلِ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧٩) [الإسراء: ٧٩]، لِأَنَّهُ يَحْمَدُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ^(٢).

(١) حديث الشفاعة الطويل:

رواه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢) ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) عن أنس رضي الله عنه، ورواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (٣٢٢) (١٩٣) و(٣٢٦) (١٩٢) بلفظ أتم من حديث أنس رضي الله عنه.
ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود). اهـ. وزاد في رواية (١٤٧٥): (فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمد به أهل الجمع كلهم). وانظر تفسير ابن كثير آية الإسراء ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٥٥/٩) ط. قرطبة.

الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَّةُ: شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ لَأَنَّهُمْ إِذَا جَاءُوا إِلَى الْجَنَّةِ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ عَلَى الْفُورِ، فَيَسْتَشْفِعُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي فَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ^(١)، فَيَسْفَعُ لَهُمْ فُتْفَتِحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ وَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] لَمْ يَقُلْ: حَتَّى إِذَا جَاءَ وَهَا فَتُحَتْ أَبْوَابُهَا كَمَا فِي النَّارِ، بَلْ قَالَ: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فَاَلْمَجِيءُ شَيْءٌ، وَفُتِحَ الْأَبْوَابُ شَيْءٌ آخَرُ، وَذَلِكَ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ يَشْفَعُ ﷺ لِأَنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي رِفْعَةِ مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

الشَّفَاعَةُ الرَّابِعَةُ: شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، مَعَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَنْفَعُ الْكَفَّارَ، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- قَالَ فِي الْكَفَّارِ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (١٨) [المدثر: ٤٨].

وَأَبُو طَالِبٍ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَلَكِنْ نَظَرْنَا لِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ حَمَى النَّبِيَّ ﷺ وَدَافَعَ عَنْهُ، وَصَبَرَ مَعَهُ عَلَى الصُّيْقِ، وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُوَفِّقْ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَحَرِصَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ أَبِي؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ دَخُولَهُ فِي الْإِسْلَامِ فِيهِ مَسَبَّةٌ لِدِينِ آبَائِهِ، حَيْثُ أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ لِدِينِ آبَائِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ يَعْتَرِفُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ دِينَهُ هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ مَنَعَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَالْأَنْفَةُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَسْلَمَ -بِزَعْمِهِ- لَصَارَ ذَلِكَ سُبَّةً عَلَى قَوْمِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٣٣) (١٩٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمِرْتُ لَا أَفْتَحُ إِلَّا بِحَدِّ قَبْلِكَ».

وهو القائل:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَرُ مَسَبَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُبِينًا^(١)

فَقَدْ مَنَعْتَهُ الْمَلَامَةُ وَحَذَرُ الْمَسَبَّةِ عَلَى قَوْمِهِ، وَلَقَدْ جَاءَهُ الرُّسُولُ ﷺ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ، وَقَالَ لَهُ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَكَانَ عِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ: أَتَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَتَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَقَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»^(٢)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وَنَزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [قصص: ٥٦].

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَشْفَعُ فِي إخراجِهِ مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَكِنْ يَشْفَعُ فِي أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ فَحَسَبَ، وَيُجْعَلُ فِي صَحْضٍ مِنْ نَارٍ، وَفِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، فَلَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٤٢/٣)، و«سمط النجوم العوالي» (١/٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٣٩) (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله

عذاباً^(١)، مع أنه أخفُّ أهل النار عذاباً.

فهذه الشَّفاعاتُ خاصَّةٌ بالنبي ﷺ.

أما الشَّفاعَةُ في أهل الكبائر في أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ، أَوْ أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا، فهذه شفاعَةٌ عامَّةٌ تَكُونُ لِلْمَلَائِكَةِ، وَتَكُونُ لِلْأَنْبِيَاءِ؛ وَتَكُونُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَكُونُ لِلْأَوْلِيَاءِ يَشْفَعُونَ لِإِخْوَانِهِمْ، وَتَكُونُ لِلْأَفْرَاطِ يَشْفَعُونَ لِأَبَائِهِمْ، فَهِيَ شَفَاعَةٌ عامَّةٌ لَهُ وَلِغَيْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هذا ملخَّص ما يُقال في الشَّفاعَةِ.

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ): هذا سبق بيانه في مسألة عذاب القبر.

(١) البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٣٦٠) (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلَ فِي صَحْصَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ».

[التَّكْفِيرُ بِالْمَعْصِيَةِ]

٣٣- وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا

فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

الشرح:

هَذِهِ مَسْأَلَةُ تَكْفِيرِ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشَّرْكَ، وَقَدْ حَصَلَ فِيهَا اخْتِلَافٌ طَوِيلٌ مَا بَيْنَ الْخَوَارِجِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَمَا بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَمَا بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَالْخَوَارِجُ يُكْفِرُونَ بِالْكِبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشَّرْكَ، وَيُخْلِدُونَ أَصْحَابَهَا فِي النَّارِ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْوَعِيدِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَيَحْمِلُونَهَا عَلَى كُفْرِ أَصْحَابِ تِلْكَ الْمَعَاصِي. وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا مُؤْمِنٍ، بَلْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

وَالْمُرْجِئَةُ عَلَى النَّقِيضِ، فَالْكِبَائِرُ عِنْدَهُمْ لَا تَضُرُّ الْإِيمَانَ وَلَا تَنْقُصُهُ، فَالْعَاصِي صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانَ، يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ!

هَذَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ، عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُدْخِلُونَ الْأَعْمَالَ فِي الْإِيمَانِ، فَمَنْ تَرَكَ وَاجِبًا، أَوْ فَعَلَ مُحَرَّمًا، أَوْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً دُونَ الشَّرْكَ، فَهَذَا كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَعَاصِي، وَلَا تَزِيدُهُ الطَّاعَاتُ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ -عِنْدَهُمْ- فِي الْقَلْبِ، وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ. هَذَا

مذهبُ المُرَجَّة - وهو عَلَى النقيضِ من مذهبِ الخَوارج - فَهُم أَخَذُوا بِآيَاتِ
الْوَعْدِ وَالرَّجَاءِ وَتَرَكُوا آيَاتِ الْوَعِيدِ.

أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِعْتَدَالِ، لَا يُكْفِرُونَ صَاحِبَ
الْكِبِيرَةِ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَامِلُ الْإِيمَانِ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ نَاقِصُ
الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ فَاسِقٌ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكِبِيرَتِهِ، وَهُوَ تَحْتَ الْمِشْيَةِ:
إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَإِنْ عَذَّبَ فَإِنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ - كَمَا
تَقُولُهُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ - فَجَمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

بَيْنَ آيَاتِ الْوَعْدِ، وَآيَاتِ الْوَعِيدِ، فَلَا يَقُولُونَ - كَمَا تَقُولُهُ الْمُرَجَّة -: إِنَّ
الْمَعَاصِيَ لَا تَضُرُّ.

وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهَا تُكْفِّرُ، كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ.

وَأَمَّا يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَعَاصِيَ تَضُرُّ وَتَنْقُصُ الْإِيمَانَ، وَلَكِنَّهَا لَا تُخْرِجُ صَاحِبَهَا
مِنَ الدِّينِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ النُّصُوصِ.

هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي مُرْتَكِبِ الْكِبِيرَةِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ): يَعْنِي:
أَهْلَ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ.

قَوْلُهُ: (وَإِنْ عَصَوْا): يَعْنِي: مَا دَامَتْ مَعْصِيَتُهُمْ دُونَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ.

قَوْلُهُ: (فَكُلُّهُمْ يَعْصِي): لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْمَعَاصِي، قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١).

قوله: (وَدُوّ الْعَرْشِ يَصْفَحُ): يعني: يَغْفِرُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٢)، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَلَمْ يُشْرِكْ، وَإِنَّمَا عِنْدَهُ مَعَاصِي دُونَ الشَّرِّ، فَهَذَا يَطْمَعُ فِي مَغْفِرَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّبِعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) [الزمر: ٥٣]، قَدْ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَقَدْ يُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، لَكِنْ لَا يُخَلِّدُهُمْ فِي النَّارِ.

هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الْمُعْتَدِلُ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ فِي أَصْحَابِ الْمَعَاصِي.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٩٩) وَقَالَ: (حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٤٢٥١)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٩٨/٣)، وَالدَّارِمِيُّ (٢٧٢٧)، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي مُسْنَدِهِ (٣٦٠/١)، وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ (٣٠١/٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣٤٢١٦)، وَالحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢٧٢/٤) وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٤٢٠/٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٤٧/٥)، وَالحَاكِمُ (٢٤١/٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْ)، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٠) وَقَالَ: (حَسَنٌ غَرِيبٌ)، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَانْظُرْ «جَامِعَ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» لِابْنِ رَجَبٍ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ الثَّانِي وَالْأَرْبَعِينَ وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢) (٢٦٨٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفَظٍ مُقَارِبٍ وَفِيهِ: «وَمَنْ لَقِيَني بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

[عَقِيدَةُ الْخَوَارِجِ]

٣٤- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ

مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

الشرح:

الْخَوَارِجُ فِرْقَةٌ مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ سُمُّوا بِالْخَوَارِجِ، لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ
وُلاَةِ الْأُمُورِ، وَأَوَّلُ مَا خَرَجُوا خَرَجُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
خِلَافَتِهِ، وَقَالُوا: لِمَاذَا تُحَكِّمُ الرِّجَالَ وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾
[يوسف: ٤٠]؟!

ولذلك لما ناظرهم عبدُ الله بنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) أَدْلَوْا عَلَيْهِ بِهَذِهِ
الشُّبْهَةِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ! فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ الرِّجَالَ فِي الْأَرْزَبِ
يَصِيدُهَا الْمُحَرِّمُ؟ فَقَالَ فِي الصَّيْدِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾
[المائدة: ٩٥]؟ أَلَيْسَ اللَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ فِي قَضِيَةِ النُّشُوزِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ
خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ
اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]؟ فَحَكَمَ الرِّجَالَ، وَتَحْكِيمُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلرِّجَالِ

(١) مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج: رواها بطولها عبد الرزاق في «المصنف» رقم
(١٨٦٧٨)، وأحمد (٣٤٢/١) والحاكم (١٥٠/٢) من رواية سماك بن الوليد الحنفي أبي زميل
عن ابن عباس رضي الله عنهما.

هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

فَإِنْ رَأَى الْخَوَارِجَ (مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ): يَعْنِي يَحِبُّهُ وَيَتَّبِعُهُ.

(يُرِيدِي): يُهْلِكُ مَنْ قَالَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ رَأَى خَطِيرًا، فِيهِ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْخُرُوجُ عَلَى وُلاَةِ الْأُمُورِ.

فَمَذْهَبُ الْخَوَارِجِ يَتَفَرَّغُ مِنْهُ فِرْعٌ قَبِيحَةٌ، فَلَا تَعْتَقِدُهُ أَوْ تَوَلَّ إِلَيْهِ، بَلْ اعْتَبِرْهُ مَذْهَبًا بَاطِلًا، وَهَذَا فِي الَّذِي يَرَى رَأْيَهُمْ وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ مِثْلَ فَعْلِهِمْ، فَكَيْفَ بِالَّذِي يَرَى رَأْيَهُمْ وَيُنْفِذُهُ؟!

[عقيدة المرجئة]

٣٥- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لْعُوبَا بِدِينِهِ

أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالَّذِينَ يَمْرَحُ

٣٦- وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ

وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحٌ

٣٧- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً

بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

الشرح:

الْمُرْجِئَةُ هُمُ الطَّرْفُ الثَّانِي الْمُقَابِلُ لِلخَوَارِجِ، وَسُمُّوا الْمُرْجِئَةً مِنَ الْإِرْجَاءِ، وَهُوَ: التَّأْخِيرُ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَّرُوا الْأَعْمَالَ عَنْ مَسَمَى الْإِيمَانِ، فَقَالُوا: الْأَعْمَالُ لَا تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ، فَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ آمَنَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا، فَلَمْ يُصَلِّ، وَلَمْ يُزَكِّ، وَلَمْ يَأْتِ بِالْأَوَامِرِ، وَلَمْ يَتَجَنَّبِ الْمَحْرَمَاتِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ -عندهم- كَامِلُ الْإِيمَانِ!

وهذا مذهب باطل، وفيه تعطيل للأعمال نهائياً.

قول الناظم -رحمه الله تعالى-: (وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لْعُوبَا بِدِينِهِ): لأن مذهب الإرجاء تلاعب بالدين، يكون العبد مؤمناً -عندهم- ولو لم يعمل شيئاً، ولو ترك

الصَّلَاةَ وَالصَّيَامَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ، ولو لم يعمل شيئاً طَوَلَ حَيَاتِهِ، ولو فَعَلَ كُلَّ الْمُحَرَّمَاتِ!

وهذا مذهب باطل. ولذلك فالفُسَّاقُ وأصحابُ المَعَاصِي يَفْرَحُونَ بهذا المَذْهَبِ وَيُؤَيِّدُونَهُ؛ لَأَنَّهُ يَصْلُحُ لَهُمْ، يَعْنِي: يَعْمَلُونَ مَا يَشَاوُونَ وَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ عِنْدَ الْمُرْجِئَةِ، فَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، وَأَصْحَابُ الشَّهَوَاتِ، وَأَصْحَابُ الْمَعَاصِي يَفْرَحُونَ بِهَذَا الْمَذْهَبِ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَاعُبِ بِالْدِّينِ، وَالتَّحَلُّلِ مِنْهُ نَهَائِيًّا.

قوله - رحمه الله تعالى -: (أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالْدِّينِ يَمْرُخُ): يَعْنِي: الْمُرْجِئَةُ يَلْعَبُونَ بِالْدِّينِ، وَيُعْطِلُونَ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِي، فَعَلَى مَذْهَبِهِمْ لَا حَاجَةَ إِلَى الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَيَكُونُ هَذَا تَلَاعُبًا بِدِينِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

قوله - رحمه الله تعالى -: (وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ): هَذَا الْقَوْلُ الثَّلَاثُ، يَعْنِي: اِتْرَكَ رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَاتْرَكَ رَأْيَ الْمُرْجِئَةِ، وَقُلْ قَوْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: الْإِيْمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

هَذَا تَعْرِيفُ الْإِيْمَانِ الْكَامِلِ، الْمَأْخُوذُ مِنَ الْأَدْلَةِ لَا مِنْ الْأَهْوَاءِ وَالْأَفْكَارِ، فَالْإِيْمَانُ يَتَكَوَّنُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ:

١- قَوْلٌ بِاللِّسَانِ.

٢- وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ.

٣- وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ.

٤- يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

- فليس الإيمان بالقلبِ فحسب، كما تقولهُ الأشاعرةُ.

- أو الذين يقولون: إنَّ الإيمانَ هو الاعتقادُ بالقلبِ مع النطقِ باللسان، كما يقوله الحنفيَّة.

- أو هو النطقُ باللسانِ فحسب كما تقولهُ الكَرَّامِيَّة.

- أو مُجَرَّدُ المَعْرِفَةِ بالقلب! كما تقولهُ الجهمية. فيلزمُ على هذا المذهبِ الحَبِيثِ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ مُؤْمِنًا؛ لَأَنَّهُ يَعْتَرِفُ بِقَلْبِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] فهو مُعْتَرِفٌ بِهَذَا بِقَلْبِهِ، وَلَكِنَّهُ أَنْكَرَهُ بِلسَانِهِ مِنْ بَابِ الْكِبْرِ وَالْبَقَاءِ عَلَى مَلَكِهِ، وَاسْتِكْبَارًا عَمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِقُلُوبِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٢) [الأنعام: ٣٣]، فَهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى مُخَالَفَتِهِ الْجُحُودُ، وَالْكِبْرُ، وَالِاسْتِكْبَارُ عَنِ الْحَقِّ، وَالْعَصْبِيَّةُ لِلْبَاطِلِ؛ كَمَا حَمَلَ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَى الْحَقِّ، فَقَالَ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا

فَلَمَّا لَمْ يَتَّبِعْهُ وَمَاتَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى الشُّرْكِ صَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ يَعْتَرِفُ أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ، وَقَالَ:

لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ حَدَاؤُ مَسَبَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحاً بِذَلِكَ مُبِيناً^(١)

مَا مَنَعَهُ مِنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا الْحَوِيَّةُ لِدِينِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، فَمَنَعَتْهُ
الْحَوِيَّةُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَى الْحَقِّ،
وَيَعْتَقِدُ هَذَا، فَعَلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا.

وَلَيْسَ الْإِيمَانُ هُوَ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَحَسَبَ بِدُونِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ، كَمَا تَقُولُهُ
الْكِرَامِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْمُنَافِقُونَ مُؤْمِنِينَ! لِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ،
وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ
النَّارِ تَحْتَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ يعني: يَتَلَفَّظُ، ﴿ءَاْمَنَّا بِاللَّهِ
وَيَاْلِيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] يعني: يَتَلَفَّظُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى يَقُولُ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فمَجَرَّدُ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، بَلِ اللَّهُ قَالَ عَنْهُمْ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا
نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١)
أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يعني سِتْرَةً، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَاْمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون: ١، ٢] ﴿ءَاْمَنُوا﴾ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾
بِقُلُوبِهِمْ.

فَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، وَلَوْ اعْتَرَفَ الْإِنْسَانُ، حَتَّى وَلَوْ قَاتَلَ وَجَاهَدَ مَعَ

المُسْلِمِينَ، ولو صَلَّى وَصَامَ، لَا يَكْفِيْهِ هَذَا حَتَّى يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ.

وَكَذَلِكَ لَيْسَ الْإِيمَانُ كَمَا تَقُولُ مُرْجِنُهُ الْفُقَهَاءُ: الْإِيمَانُ هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ! لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا صَارَ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي فَائِدَةٌ، يَكْفِيْهِ أَنْ الْإِنْسَانَ يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَلَوْ لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ! وَهَذَا مَذْهَبُ بَاطِلٍ بِلَا شَكٍّ؛ لِأَنَّهُ يُعْطَلُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- قَرَنَ الْعَمَلَ بِالْإِيمَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ ﴿آمِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ آمَنُوا. فَحَسِبَ أَوْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. فَحَسِبَ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْاِثْنَيْنِ مَعًا، فَلَا يَكْفِي الْعَمَلُ بَدُونِ إِيْمَانٍ، وَلَا يَكْفِي الْإِيمَانُ بَدُونِ عَمَلٍ، فَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ قَرِينَانِ، وَهَذَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ: حَدِيثُ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَغْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

فَقَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): هَذَا قَوْلٌ بِاللِّسَانِ.

(وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ): هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ.

و(إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ): هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ يُزِيدُ بِالطَّاعَةِ، فَهَذَا صَرِيحٌ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٧) (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[الأنفال: ٢-٤]، فجعل الصلاة والإنفاق من الإيمان، وهذه أعمال جوارح، وذكر الله هذا قول باللسان، ﴿زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ وهو دليل على أن الإيمان يزيد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، فدل على أن الإيمان يزيد ويقوى بالطاعات.

وكذلك ينقص الإيمان بالمعاصي، بدليل حديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»^(١) فدل على أن الإيمان يضعف، فالذي لا يُنكر المنكر لا يبيده ولا يلسانه هذا ضعف الإيمان، والذي لا يُنكر لا يبيده ولا يلسانه ولا بقلبه هذا ليس فيه إيمان أصلاً؛ لقوله ﷺ: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»؛ كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مُثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(٢)، هذا دليل على أن الإيمان يضعف ويكون يقدر وزن حبة الخردل أو أذنَى من ذلك.

وفي قال تعالى: ﴿هُمُ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] دليل على أن الإيمان يضعف حتى يصل إلى أن يقرب صاحبه من الكفر، ﴿هُمُ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾، فهذا دليل على نقص الإيمان.

(١) سبق تخريجه (ص ١٧٠).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٧٠).

والمُرجئة يَقُولُونَ: الإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ بِالْقَلْبِ، وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالنَّاسُ لَا يَتَفَاضِلُونَ فِي الإِيمَانِ، فَإِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مِثْلُ إِيمَانِ أَفْسَقِ النَّاسِ!

وهذا كَلَامٌ بَاطِلٌ، بَلِ الإِيمَانُ يَتَفَاضَلُ، وَبَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْوَى إِيمَانًا مِنَ الْآخَرِ، قَالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»^(١)، قُوَّةٌ فِي الإِيمَانِ، وَقُوَّةٌ فِي الْبَدَنِ، وَقُوَّةٌ بِالْفِعْلِ.

فَالِإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِلَا شَكٍّ، فَالْمَعَاصِي تَنْقُصُ الإِيمَانَ، وَالطَّاعَاتُ تَزِيدُ فِي الإِيمَانِ. هَذَا هُوَ تَعْرِيفُ الإِيمَانِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ)؛ يَعْنِي: بِاللِّسَانِ.

(وَنِيَّةٌ)؛ يَعْنِي: اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ.

قَوْلُهُ: (وَفِعْلٌ)؛ وَهُوَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ، هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ شُعْبِ الإِيمَانِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

قَوْلُهُ: (وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ)؛ هَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُرْجئة الَّذِينَ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ!

وهذا قول باطل، بَلِ الإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي.

(١) رواه مسلم (٢٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[تَقْدِيمُ قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ]

٣٨- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ

فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

الشرح:

هذه مسألة أخرى، وهي: أنه لا بد أن يكون هناك خلاف بين العلماء في المسائل، هذا يقول: هذا حلال، وهذا يقول: هذا حرام، وهكذا يجري الخلاف بين العلماء في المسائل الاعتقادية، والمسائل العملية، والمعاملات، فالخلاف يقع بلا شك، وهذه طبيعة البشر، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجَعَ رَبُّكَ ﴿[هود: ١١٨، ١١٩]، ولكن لا يجوز لنا أن نأخذ ما نريد من الأقوال وما يوافق رغبتنا وشهواتنا، وإنما نأخذ من الأقوال ما قام عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾: إلى كتاب الله (القرآن)، ﴿وَالرَّسُولِ﴾: ويرجع إليه في حياته - عليه الصلاة والسلام - ويسأل، أما بعد موته فيرجع إلى سنته، فكأنه موجود - عليه الصلاة والسلام - بوجود سنته؛ ولهذا قال ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَبْرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِدِينَ»^(١)، وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٢).

فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا نَشْتَهِي أَوْ يُوَافِقُ رَغْبَاتِنَا، أَوْ أَهْوَاءَنَا، أَوْ
نَقُولَ: هَذَا أَوْسَعُ لِلنَّاسِ وَأَيْسَرُ لِلنَّاسِ، وَالْمُرُونَةُ مَطْلُوبَةٌ!

فَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ.
وَيَقُولُونَ: الْاِخْتِلَافُ رَحْمَةٌ!

ونقول: الاختلاف ليس برحمة، الاجتماع هو الرحمة والاتفاق هو الرحمة،
أما الاختلاف فإنه عذابٌ وشرٌّ؛ كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:
«الْخِلَافُ شَرٌّ»^(٣).

فالاختلاف موجودٌ، ولكن ليس معنى ذلك أن نقول: هذا من سعة الدين؛

(١) سبق تخريجه (ص ٤٧).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» (١/٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،
وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ص ٢٦٩)، من حديث عمرو بن عوف رضي
الله عنه بلفظ: «وسنة نبيه ﷺ»، ورواه الحاكم أيضاً في «المستدرک» (١/٩٣)، عن ابن عباس -
رضي الله عنهما- بلفظ: «كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»، وعزاه في «كنز العمال» إلى أبي بكر الشافعي
في الغيلانيات عن أبي هريرة رضي الله عنه، «الكنز» (٨٧٥)، وعزاه أيضاً لأبي بكر السجزي في
الإبانة الكنز (٩٥٥)، وقد ورد بغير هذا اللفظ عند مسلم (٣٦، ٣٧) (٢٤٠٨)، والترمذي
(٣٧٨٨)، وأحمد (٣/١٤)، والسنة لابن أبي عاصم من (١٥٥١) إلى (١٥٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود (١٩٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/١٤٣) (٥٢١٩)، وأبو يعلى
(٢٥٥/٩) (٥٣٧٧)، وهو عند ابن أبي شيبة: بلفظ (الخلافاً أشد). «المصنف» (٣/٢٥٧).
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/٥١٦)، وأصله في «الصحيحين»: رواه البخاري
(١٠٨٤)، ومسلم (٦٩٥).

لأن الدين ليس في أقوال العلماء، إنما الدين بالدليل، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [النساء: ٥٩] هذا هو الميزان الذي بين أيدينا، لم يكلنا الله للخلاف أو إلى رأي فلان وقول فلان، بل أمرنا بأن ترجع إلى الميزان، وهو: الكتاب والسنة.

-فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاسْتَطِيعَ أَنْ يَعْرِفَ الرَّاجِحَ مِنَ الْمَرْجُوحِ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْقَوْلَ عَلَى عِلَّاتِهِ حَتَّى يَعْزِضَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

-وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْعَوَامِّ أَوْ مِنَ الْمُبْتَدِئِينَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَهَذَا يَسْأَلُ أَهْلَ الْعِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَشَاوَرُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

والأئمة يُحذِّرونَ من أخذِ أقوالهم بِدُونِ مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ:

-فَالْإِمَامُ مَالِكٌ -رحمه الله تعالى- يقول^(١): «كُنَّا رَأْدٌ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ»، يعني: رسول الله ﷺ، ويقول: «أَوْكَلَمَّا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لَجْدَلٍ هَؤُلَاءِ».

-والإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- يقول: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي»، ويقول: «إِذَا خَالَفَ قَوْلِي قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عُزْصَ الْحَائِطِ، وَخُذُوا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ويقول: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدْعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ».

(١) انظر أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء؛ في «قواعد التحديث» للقاظمي (ص ٢٧٣) ط. دار الكتب العلمية و«سير أعلام النبلاء» (٣٥/١٠)، و«الرد على الأحنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٨٥) ط. المطبعة السلفية، و«إعلام الموقعين» (٢٨٧/٣). وتيسير العزيز الحميد (٥٦٣) ط. مكتبة التراث الإسلامي.

-والإمام أحمد- رحمه الله تعالى- يقول^(١): «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتْ يَدُهُمْ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ! وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشَّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكُ».

فَلَا قَوْلَ لِأَحَدٍ مَعَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمِيزَانِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا، أَنَّهُ لَمْ يَكِلْنَا إِلَى الْاِخْتِلَافِ وَأَقْوَالِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا أَمَرْنَا أَنْ نَزِنَ الْأَقْوَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا يَكُونُ لِلْعُلَمَاءِ، وَأَمَّا الْعَوَامُ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فَيَسْأَلُ الْعَامِيُّ مَنْ يَثِقُ بِعِلْمِهِ وَدِينِهِ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: مَذْهَبُ الْعَامِيِّ مَذْهَبُ مَنْ أَفْتَاهُ. فَهَذَا هُوَ الضَّابِطُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَالْآنَ الصُّحُفُ وَالْكِتَابَاتُ كُلُّهَا تُنَادِي بِالْأَخْذِ بِالْآرَاءِ وَالتَّوَسُّعِ عَلَى النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا رُدُّوا إِلَى الدَّلِيلِ فَهَذَا حَرْجٌ وَضِيقٌ، هَكَذَا يَقُولُونَ!

وَهَذَا الْقَوْلُ كُفْرٌ؛ لِأَنَّ قَائِلَهُ يَرَى أَنَّ الْأَخْذَ بِالدَّلِيلِ يَكُونُ حَرْجًا! وَالَّذِي يَقُولُ هَذَا يَكْفُرُ. وَالْأَخْذُ بِالدَّلِيلِ هُوَ الْفَرْجُ وَلَيْسَ حَرْجًا، وَهُوَ التَّيْسِيرُ مِنَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله تعالى-: (هذا الكلام من الإمام أحمد -رحمه الله- رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب. ثم قال: ذكر ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-). اهـ. انظر «فتح المجيد» (ص ٥٥٧)، ط. قرطبة. وانظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (١١٦/٢) ط. دار ابن حزم، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٤٩٢/١) ط. المكتب الإسلامي.

فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي مَسْأَلَةِ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَمَاذَا نَأْخُذُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْمَسَائِلِ.

قَوْلُ النَّازِمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ): الْمُعْتَبَرُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِ، وَلَمْ نُوْمرْ بِاتِّبَاعِ الْأَرَاءِ وَالْأَقْوَالِ. وَالْعُلَمَاءُ وَالْأَئِمَّةُ يُحذِّرُونَ مِنْ هَذَا غَايَةَ التَّحْذِيرِ.

[الطعن في أهل الحديث]

٣٩- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ

فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

الشرح:

قول الناظم - رحمه الله تعالى -: (وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ):

أي: لا تتخذ الدين مهزلة وملعبة؛ فإن هذا فعل المنافقين والفساق، بل عليك احترام الدين وتعظيم أمر الدين وأهله، وقال الله - جلّ وعلا - عن المنافقين والفساق: ﴿اتَّخِذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١]، ويدخل في هذا الصوفية الذين يجعلون الرقص والدُفوف والأغاني من الدين! ويسمونها الأناشيد والمراثي والقصائد، وينشدونها يتقربون بها إلى الله! وهي من الأغاني والطرب المحرم، واللهو المحرم.

ويدخل فيه من باب أولى: الذين يميلون إلى الشهوات وما تهواه أنفسهم، ويعطون أنفسهم ما تريد، ولو كان مخالفاً للدين، فهذا من اتخاذ الدين لهواً ولعباً، فيدخل فيه الفساق الذين لا يبالون بأمر الدين، ويتبعون ما تشتهيهم أنفسهم ورغباتهم.

ويدخل فيه العبّاد من الصوفية الذين أدخلوا في العبادة ما ليس منها، بل أدخلوا فيها ما يخالفها من ضرب الطبول والرقص، ويتخذون هذا ديناً، وينشدون

القَصَائِدُ الْمُنْعَمَةُ، كِفْعَلِ النَّصَارَى فِي تَرَانِيمِهِمْ!

فهذا كله من اتَّخَذَ الدِّينَ لَهُوًّا وَلَعِبًا.

قوله - رحمه الله تعالى -: (فَتَنْطَعْنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ):

عَلَيْكَ بِاحْتِرَامِ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَأَهْلُ الْحَدِيثِ: هم أَهْلُ الرَّوَايَةِ الَّذِينَ اعْتَنَوْا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، حَتَّى بَلَغُوهَا لِلنَّاسِ كَمَا جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَفَوْا عَنْهَا كُلَّ دَخِيلٍ وَكُلَّ كَذِبٍ، وَاعْتَنَوْا بِهَا عِنَايَةً تَامَّةً. وَهم عَلَى قَسَمَيْنِ:

الأول: أَهْلُ رِوَايَةٍ فَحَسَبَ.

الثاني: أَهْلُ رِوَايَةٍ وَدِرَايَةٍ.

أَهْلُ الرِّوَايَةِ هم: الْحَفَاطُ الَّذِينَ حَفِظُوا الْأَسَانِيدَ، وَاتَّقَنُوهَا، وَمَيَّزُوا رُؤَاتِهَا، وَبَيَّنُّوا أَحْوَالَ الرِّوَاةِ، وَأَيْضًا اعْتَنَوْا بِالْمُتُونِ وَحَفِظُوهَا وَبَلَغُوهَا بِالْقَاطِظِهَا، حَتَّى إِنَّ الْحَافِظَ إِذَا شَكَّ فِي لَفْظَةٍ يَقُولُ: أَوْ قَالَ كَذَا وَكَذَا، بَأْتِي بِالاحْتِمَالِ الثَّانِي وَلَا يُجْزِمُ. أَوْ يَقُولُ: شَكَّ فُلَانٌ، وَلَوْ كَانَتِ اللَّفْظَةُ الثَّانِيَةُ بِمَعْنَى اللَّفْظَةِ الَّتِي تَوَقَّفَ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا، يَحْتَرِمُونَ الْأَلْفَاظَ، فَيُؤَدُّونَ الْحَدِيثَ بِلَفْظِهِ؛ كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَاتَنَا، فَبَلَغَهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(١).

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد (٤٣٧/١)، ٤/٨٠، ٤/٨٢، ٥/١٨٣، وابن حبان (٦٦) (٢٦٨/١) والحاكم (١٦٣/١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤١) (١٢٦/٢) و«الأوسط» (١٣٠٤) (٧٨/٢) و«الصغير» (٣٠٠) =

فَهُمْ يُحَافِظُونَ عَلَى مُتُونِ الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا أَلَّا يَدْخُلَهَا أَلْفَاظٌ غَيْرَ لَفْظِ
الرَّسُولِ ﷺ، وَإِذَا شَكُّوا بَيَّنُّوا الشَّكَّ، وَيَدْرُسُونَ الْأَسَانِيدَ، وَيَعْرِفُونَ أَحْوَالَ الرُّوَاةِ
وَاحِدًا وَاحِدًا، وَيُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَوْضُوعِ.

هَذِهِ مُهِمَّةُ الْحُقَافَا، وَيُسَمَّوْنَ: ثِقَادَ الْمُتُونِ وَالْأَسَانِيدِ، مِثْلُ نَقَادِ الذَّهَبِ
وَالْفُضَّةِ، فَالضَّيَارَةُ يَعْرِفُونَ الذَّهَبَ الصَّحِيحَ وَالْفُضَّةَ الصَّحِيحَةَ مِنَ الْمُرَيِّقَةِ، مِنْ
حِينَ يَسْمَعُ صَوْتَ التَّقْدِيقِ لَكَ: هَذَا مَغْشُوشٌ أَوْ هَذَا غَيْرُ مَغْشُوشٍ. فَأَصْحَابُ
الْحَدِيثِ مِثْلُهُمْ، إِذَا مَا سَمِعَ الْحَدِيثَ وَسَمِعَ سَنَدَهُ، يَقُولُ لَكَ: هَذَا فِيهِ كَذَا، أَوْ فِيهِ
كَذَا. هَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ الرُّوَايَةِ.

وَالْآخَرُونَ عُلَمَاءُ الرُّوَايَةِ وَالِدِّرَايَةِ، يَعْنِي: فَفَهَاءُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَرُوُونَ
الْحَدِيثَ، وَيَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُ الْأَحْكَامَ، وَيَذْكُرُونَ فِقَةَ الْحَدِيثِ؛ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ
وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ، هَؤُلَاءِ فَفَهَاءُ الْحَدِيثِ فَهَمُ حُقَافَا وَفُقَهَاءُ.

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلًا لَهُؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ؛ فَقَالَ: «مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ
الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا:

فَكَانَ مِنْهَا نَفِيقَةٌ: قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلًّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ.

وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ: أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَتَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ: فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا،
وَزَرَعُوا.

وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا.

فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا. وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

فَالطَّائِفَةُ الْأُولَى: «نَقِيَّةٌ قِيلَتِ الْمَاءُ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءُ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ»: وَهَذَا مِثَالٌ لِلْحِفَاطِ، الَّذِينَ أَمْسَكُوا الْحَدِيثَ وَرَوَوْهُ وَحَفِظُوهُ، وَمَنْ احتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَرْجِعُ إِلَى مَا دُونَهُ وَمَا جَمَعُوهُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ، مِثْلُ الْجَابِيَةِ الَّتِي تَحْفَظُ مِيَاهَ السُّيُولِ، يَرِدُ إِلَيْهَا النَّاسُ بِدَوَابِّهِمْ وَبِأَوَانِهِمْ وَيَرْتَوُونَ مِنْهَا. هَذَا مِثْلُ حِفَاطِ الْحَدِيثِ تَمَامًا.

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: «أَمْسَكَتِ الْمَاءُ وَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءُ»: وَهَذَا مِثَالٌ لِفَقْهَاءِ الْحَدِيثِ، الَّذِينَ حَفِظُوا الْحَدِيثَ وَأَمْسَكُوهُ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهُ الْأَحْكَامَ، وَهَذَا إِنْبَاتُ الْكَلَاءِ، فَشَرِبَ النَّاسُ وَرَعَوْا.

وَهَؤُلَاءِ أَحْسَنُ مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، أَحْسَنُ مِنَ الْحِفَاطِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ رِوَايَةٍ وَأَهْلُ دِرَايَةٍ.

وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ: «إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً»: فَذَلِكَ مِثَالٌ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ، وَلَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا.

فَالنَّاسُ كَالْأَرَاضِيِّ - ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأُولَى: أَجَادِبُ: لَا تُنْبِتُ، وَلَكِنَّهَا أَمْسَكَتِ الْمَاءَ. هَؤُلَاءِ الْحِفَاطُ.

الثَّانِي: أَرْضٌ خِصْبَةٌ: أَمْسَكَتْ وَأَنْبَتَتْ. هَؤُلَاءِ هُمُ الْحِفَاطُ الْفُقَهَاءُ.

الثَّالِثُ: طَائِفَةٌ لَيْسَ فِيهَا خَيْرٌ: لَا تُنْبِتُ كَلَاءً وَلَا تُمْسِكُ مَاءً. هَذَا مِثْلُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، الَّذِينَ لَا يَرْفَعُونَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ رَأْسًا.

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (١٥) (٢٢٨٢).

فأهل الحديث هم أفضل الأمة، وهم الفرقة الناجية، قال الإمام أحمد -
 رحمه الله تعالى- «إِنْ لَمْ تَكُنِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَلَا أَذْرِي مَنْ
 هُمْ»^(١)، فأصحاب الحديث هم الفرقة الناجية، وكذلك مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَسَارَ عَلَى
 نَهْجِهِمْ فَهُوَ يُلْحَقُ بِهِمْ.

(١) انظر «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص ٢٥) دار إحياء السنة، و«معرفة
 علوم الحديث» للحاكم (ص ٢) ط. دار الكتب العلمية.

[أهمية الاعتقاد الصحيح وفضله في الدنيا والآخرة]

٤٠ - إِذَا مَا اعتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحَ هَذِهِ

فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيْتُ وَتُصْبِحُ

الشرح:

قول الناظم - رحمه الله تعالى - : (إِذَا مَا اعتَقَدْتَ الدَّهْرَ):

هَذَا الْخِتَامُ يَقُولُ فِيهِ: إِذَا اعتَقَدْتَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كُلِّ حَيَاتِكَ، أَوْ عِنْدَ خَاتِمَةِ حَيَاتِكَ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ. أَمَا أَنْ تَعْتَقِدَ ذَلِكَ فَتَرَةً، ثُمَّ تَتْرُكُهُ وَتُتِهْمِلُهُ، فَهَذَا لَا يَنْفَعُكَ شَيْئًا، لَا بَدَّ مِنَ الاستمرارِ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ فِي كُلِّ حَيَاتِكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ عَلَيْهَا، أَمَّا مَنْ اعتَقَدَهَا فِي الْأَوَّلِ ثُمَّ تَرَاجَعَ عَنْهَا فَهَذَا يَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ.

(يَا صَاح): يَحْتَمِلُ أَنْ أَصْلَهُ يَا صَاحِبِي وَرُحْمَ، وَالتَّرْخِيمُ: أَنْ يُحْذَفُ آخِرُ الْمُنَادَى كـ (يَا سَعَا) فَيَمُنْ دَعَا سَعَادًا.

أَوْ أَنْ الْأَصْلَ (يَا صَاحِبِي) مِنَ الصَّخْوَةِ، وَحُذِفَتِ الْبَاءُ كَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّرْخِيمِ وَالتَّخْفِيفِ، عَلَى الْمُسْتَمْعِ.

فَإِذَا عَمِلْتَ بِمَا ذَكَرَهُ النَّاطِمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَاعْتَقَدْتَ مَا جَاءَ فِيهَا، فَأَنْتَ عَلَى الْجَادَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَسْلُوكِ الصَّحِيحِ، وَمَنْ خَالَفَ مَا جَاءَ فِيهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْمُخَالَفِينَ، عَلَى حَسَبِ مُخَالَفَتِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَجْلِ النَّاطِمِ أَوْ مَنْظُومَتِهِ، وَإِنَّمَا مِنْ

أَجَلٍ أَنْ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَيْسَ هَذَا مَدْحٌ لِمَنْظُومَتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَدْحٌ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ مَعَانِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قوله - رحمه الله تعالى -: (فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ نَبِيٍّ): في المساء.

(وَتُصْبِحُ): في الصَّبَاحِ. فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُصْبِحُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا بِسَبَبِ الْفِتَنِ، لَا تَكُونُ كَذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّكَ عَلَى مَنَهْجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَذِهِ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، قَالَ ﷺ: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(١).

وَسَمِيَتِ النَّاجِيَةُ؛ لِأَنَّهَا نَجَتْ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ تَقَعْ فِيهَا مَعَ الْفِرْقِ الْمُخَالِفَةِ.

وَسُمُُّوا أَهْلَ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»^(٢).

وَسُمُُّوا بِالْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ، فَمِنْ سَمَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ الْاجْتِمَاعُ، وَمِنْ سَمَاتِ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْافْتِرَاقُ وَالْاخْتِلَافُ.

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق وورد عن عدد من الصحابة،

منهم:

معاوية رضي الله عنه عند أبي داود في «السنن» (٤٥٩٧)، والطبراني في «الكبير»

(٣٧٧/١٩).

وعوف بن مالك رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٠/١٨).

وأبو هريرة رضي الله عنه عند الترمذي (٢٦٤٠) وقال حسن صحيح.

وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند الترمذي (٢٦٤١).

وأنس رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في «المسند» (١٤٥/٣)، وأبي يعلى في

مسنده (١٥٥/٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٧).

جَزَى اللهُ النَّاطِمَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَنَفَعَنَا بِمَا ذَكَرُهُ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ
وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ إِلَى يَوْمِ نَلْقَاهُ.
وَبِهَذَا انْتَهَى الشَّرْحُ عَلَى هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ الْمُبَارَكَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

تَمَّتْ

فِي ٨/٣/١٤٢٦هـ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣ - فهرس الآثار وأقوال العلماء.
- ٤ - فهرس الأشعار.
- ٥ - فهرس الموضوعات.

١- فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿أَعِدْنَا لِلْمُصِطِّاتِ الْمُنْتَفِعِينَ﴾	٦	٥٠
﴿مِصْرَ الَّذِينَ آمَنَتْ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ﴾	٧	٥٠
سورة البقرة		
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الدُّنْيَا﴾	٣-١	١٦٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٦	١٤٥
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾	٨	١٨٨
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٢	٩٣
﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٦٢	١٥٧
﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	٥٢
﴿وَنَبِّهِرِ الضَّالِّينَ﴾	١٥٧-١٥٥	١٥٠
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وَبُوهَكُمْ﴾	١٧٧	١٥٨
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾	٢١٣	٤٩
﴿إِلَّا إِن نَّصَّرَ اللَّهُ قَوْمًا﴾	٢١٤	١٥١
﴿وَأَنفَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾	١٢٣	١٧٣
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَبْنَا وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾	٢٥٣	١٤٠
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	١٧٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٧٧	١٤٥

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ ٢٨٥ ١٥٨

سورة آل عمران

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ٥ ١٣٧

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ١٧ ١٠٢

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ ٢٦ ٧١

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ٢٩ ١٣٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ٩١ ١٧٣

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ٤٧ ٤٧

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ ١٠٥ ٤٨

﴿قُلِ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ ١٥٤ ١٣٧

﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ﴾ ١٦٤ ٦٠

﴿هُمُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ﴾

﴿يَقُولُونَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ مَالِيَسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ١٦٧ ١٨٨

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ ١٦٨ ١٤٩

سورة النساء

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ ٣٥ ١٨٣

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ٤٠ ١٥٢

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ٤٨ ١٧٠

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ٥٩ ١٩٢

﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٖ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ٥٩ ١٩٤، ١٩٢

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ٦٩ ١١٧

١٤٩	٧٨	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾
٥٩	٨٠	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
٦٠	١١٣	﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
٦١	١١٥	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾

سورة المائدة

٥٥	٢	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾
٥١	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾
٩٥	٦٤	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾
١٨٣	٩٥	﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

سورة الأنعام

٩٩	١٨	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨)
١٥٨	٢٩	﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢١)
	٣٣	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾
٥١	٣٨	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
٩٩	٦١	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾
١٦١	٦٧	﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٧٧)
٨١	١٠٣	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
٦٧	١١٤	﴿مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾

سورة الأعراف

١٦٨	٩-٨	﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾
		﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ﴾

١٩٧	٥١	الذَّنْبَا ﴿﴾
١٢٠	١٤٢	﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾
٧٩	١٤٣	﴿لَنْ تَرْضَى﴾
٦٩	١٤٨	﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلَيْهِمْ عَجَلًا﴾
٥٩	١٥٨	﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾
٨٠	١٨٥	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

سورة الأنفال

١٩٠-١٨٩	٤-٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾
٤٩	٦٢	﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بُصْرًا وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾
٤٩	٦٣	﴿وَالْفَبْرِكَ قُلُوبُهُمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

سورة التوبة

٦٧	٦	﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾
٥٠	٣٣	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾
١١٦	٤٠	﴿لَا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾
١٥٧	٤٤	﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
١٢٥	١٠٠	اتَّبَعُوهُمْ ...﴾
١٧٨	١١٣	﴿مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾
١٩٠	١٢٤	﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾

سورة يونس

١٧٥	١٨	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾
٨٠	٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسْنَا وَزِيَادَةً﴾
١٦١	٣٩	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾

سورة هود

١٩٢	١١٨	﴿وَلَا يَزَالُونَ تُخَلِّفُونَ﴾ (١١٨)
١٩٢	١١٩	﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾

سورة يوسف

٥٣	٣٨	﴿وَأَتَيْنَتْ مَلَأَةً أَبَاهُ يَزِيزُ هَيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾
١٨٣	٤٠	﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾

سورة إبراهيم

١٦٤	٢٧	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾
-----	----	--

سورة الحجر

١٢٤	٢١	﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١)
-----	----	--

سورة النحل

١٠٧	٢٥	﴿لِيُحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ﴾
١٩٤	٤٣	﴿فَنَسُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣)
٥٩	٤٤	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ إِشْرَافًا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
		﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْمُسْتَقِيمُ﴾
٨٤	٦٢	

سورة الإسراء

١٧٦	٧٩	﴿وَمِنَ آيَاتِهِ فَتَنَ جَدِّهِ إِذْ نَادَاهُ لَكَ﴾
١٨٧	١٠٢	﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

سورة الكهف

٦٩	١٠٩	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾
----	-----	--

سورة مريم

٨٥	٣٠	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ﴾
٦٩	٤٢	﴿يَتَابَتِ لَيْمَ قَعْدٌ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾
٥١	٦٤	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۖ﴾
٨٦	٦٥	﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۖ﴾

سورة طه

١١٨	٣٢-٢٩	﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ ۖ﴾
٦٩	٨٨	﴿فَاخْرَجْ لَهُمُ عِبِلًا جِئِدًا لَهُ خَوَارُ﴾
٦٩	٨٩	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾

سورة الأنبياء

١٧٤	٢٨	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾
-----	----	---

سورة الحج

١٤٠	١٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ۝﴾
-----	----	--

سورة المؤمنون

٥٦	١١-١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾
----	------	----------------------------------

١٥٨	٣٧-٣٥	﴿أَيُّدْكُمُ الْكُفْرُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا﴾
٤٨	٥٢	﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾
٤٨	٥٣	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾
٥٦	١٠٢	﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
٥٦	١٠٣	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾
١٥٩	١١٦-١١٥	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾

سورة النور

١١٥	٢٢	﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾
٥٩	٥٦	﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾
١٩٥	٦٣	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ...﴾

سورة الفرقان

		﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ
١١٨	٣٥	﴿وَزَيْدًا ﴿٣٥﴾﴾

سورة الشعراء

٦٤	١٩٥-١٩٢	﴿وَالْقُرْآنُ لِلزَّيْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾
----	---------	---

سورة القصص

١٧٨	٥٦	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾
-----	----	--

سورة العنكبوت

١٤٧	١٧	﴿فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الزُّرْقَ﴾
-----	----	---

سورة لقمان

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ ٢٧ ٦٩

سورة الأحزاب

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ ١٨ ٩٠

سورة يس

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ ٣٩ ٨٢

﴿وَلَا تُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٤ ١٥١

﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَبِيًّا خَلَقَهُ﴾ ٧٨-٧٩ ١٥٩

سورة الصافات

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ١٤٠

سورة ص

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ٢٧ ١٥٩

﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ﴾ ٢٨ ١٥٩

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ ٧٥ ٩٢

سورة الزمر

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١ ٦٧

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ ٢ ٦٧

﴿قُلْ إِنَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ١٥ ٥٧

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٥٣ ١٨٢

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٦٢ ١٤٠

٩١	٦٧	﴿وَالسَّكُونُ تُطَوِّدْتُ بِسَمِيحِهِ﴾
١٧٧	٧٣	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾

سورة غافر

٧١	١٦	﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾
١٧٣	١٨	﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

سورة فصلت

٥٠	١٧	﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَمَا يَشَاءُ لَهُمْ فَاسْتَجَبُوا لِعَمِّي عَلَى الْهُدَىٰ﴾
١١٦	٤٢	﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾

سورة الشورى

٨٦	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾
٥١	٥٢	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

سورة الزخرف

٦٧	٤	﴿وَلِئَلَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلُّ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾
٨٥	١٥	﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾
٨٥	١٨	﴿أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾
٨٥	١٩	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِشَاءً...﴾
٨٥	٥٩	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

سورة الدخان

١٢٩	٤	﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾
-----	---	---

سورة الجاثية

٥٠	١٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾
١٢٥	١٧	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾
١٥٨	٢٤	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾

سورة الأحقاف

٥٢	٩	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايَ الرُّسُلِ﴾
----	---	---------------------------------------

سورة الفتح

١٢٥	١	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾
١٢٥	٥	﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
١٢٥	١٠	﴿إِنَّ إِلَٰهَكَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾
٦٧	١٥	﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾
١٢٥	١٨	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾
١٢٥	٢٩	﴿يُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

سورة الحجرات

٦٣	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْذِفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
----	---	---

سورة ق

٨٠	٣٥	﴿لَمْ يَأْتِ شَيْءٌ مِنْهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾
----	----	---

سورة الذاريات

١٠٢	١٧	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾﴾
١٠٢	١٨	﴿وَبِالْآسَافِ هُمْ يُسْتَفْعَرُونَ ﴿١٨﴾﴾

سورة الطور

٨٥	٣٩	﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (٣٩)
----	----	---

سورة النجم

١٦١	٣	﴿وَمَا يَطْلُقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣)
١٦١	٤	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤)
٦٦	١٣	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣)
١٧٤	٢٦	﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾

سورة الحديد

١٢٩	٢٢	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾
٨٣	٢٧	﴿إِلَّا آيَةً لِّرِضْوَانِ اللَّهِ﴾
٨٣	٢٧	﴿فَمَارِعَوْهَا حَتَّىٰ رِعَايَتِهَا﴾

سورة المجادلة

١٢٦	٧	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
-----	---	---

سورة الحشر

٥٩	٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
		﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
١٠٩	٨	﴿يَسْتَعِينُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
١٠٩	٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾
		﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
١٠٩	١٠	الَّذِينَ سَبَقُونَا...﴾

سورة الجمعة

﴿وَأَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ١٠ ١٤٧

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ ٢-١ ١٨٨

سورة التغابن

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ ٧ ١٥٨

سورة الملك

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ١ ٧١

سورة الحاقة

﴿إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٤٠ ٦٦

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ٤١ ٦٦

سورة نوح

﴿الَّذِينَ رَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ١٥ ١٠١

سورة الجن

﴿وَمَنْ يَقِصِرْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ٢٣ ١٤٥

سورة المدثر

﴿وَرَزَّادَ الَّذِينَ مَأْمُرُوا لِإِيتِنَا﴾ ٣١ ١٩٠

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ ٤٨ ١٧٣

سورة القيامة

٨٠	٢٢	﴿وَجُودٌ بِوَمِيذَنَاصِرَةٍ﴾ (٢٢)
٨٠	٢٣	﴿إِلَّا رِيهَا نَاطِرَةٍ﴾ (٢٣)

سورة التكويد

٦٤	١٩	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩)
١٤٥	٢٨	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨)
١٤٠	٢٩	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩)

سورة المطففين

٧٩	١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥)
----	----	--

سورة البروج

١٤٠	١٦	﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١٦)
٦٧	٢١	﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١)
٦٧	٢٢	﴿فِي لَوْجٍ مَحْفُوظٍ﴾ (٢٢)

سورة الشرح

١٥١	٥	﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥)
-----	---	-------------------------------------

سورة البينة

٤٩	٤	﴿وَمَا نَعْرِقُ الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (٤)
----	---	---

سورة القارعة

١٦٧	٩-٦	﴿فَأَمَّا مَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦)
-----	-----	---

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ وَلَمْ

٨٣

٤-١

يُولَدْ...﴾

٩٣

٤

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

٢- فهرس الأحاديث النبوية

نص الحديث	الراوي	الصفحة
آتي باب الجنة يوم القيامة	أنس بن مالك	١٧٧
أحب النساء إلى رسول الله ﷺ وأحب الرجال	عمرو بن العاص	١٢٨
أحرص على ما ينفعك	أبو هريرة	١٤٨
أقرب ما يكون العبد من ربه	أبو هريرة	١٠٣
اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل	عائشة رضي الله عنها	٤٩
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون	سعد بن أبي وقاص	١١٩
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً	عبدالله بن مسعود	١٣٨
إن الله كتب الحسنات والسيئات	عبدالله بن عباس	١٥٢
إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً	أبو هريرة	٤٨
أن صدق عبدي فأرشوه من الجنة	البراء بن عازب	١٦٣
أنت الأول فليس قبلك شيء	أبو هريرة	٨٦
انطلق فممن كانت في قلبه أدنى أدنى	أنس بن مالك	١٧٠
انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً	أبو هريرة	١٠٠
إنكم سترون ربكم كما	جرير بن عبدالله	٨١
إنكم سترون ربكم كما	جرير بن عبدالله	٨١
إنه ليسمع قرع نعالهم	أنس بن مالك	١٦٠
إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً	العرباض بن سارية	١٩٢، ٤٧
إني أحب أن أسمع من غيري	عبدالله بن مسعود	٧٧

١٩٣	أبو هريرة	إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي
١٣٧	عبادة بن الصامت	أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم
١١٨	عمرو بن العاص	أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة،...
١٤٨، ١٥٧، ١٣٣	أبو هريرة	الإيمان أن تؤمن بالله
١٨٩	أبو هريرة	الإيمان بضع وسبعون شعبة
٨٣	أبو الدرداء، أبو سعيد	تعديل ثلث القرآن
١٥٤	أبو هريرة	حديث احتجاج آدم وموسى
١٦٥	أنس بن مالك	حديث الحوض
١٧٦	أنس بن مالك	حديث الشفاعة الطويل
١٧٠	أبو سعيد الخدري	حديث حميل السيل
٨٠	صهيب الرومي	الحسنى هي الجنة والزيادة
١٠٨	عمران بن حصين	خيركم قرني
١٠٨	تميم الداري	الدين النصيحة
١٧٠	أبو سعيد الخدري	ذلك أضعف الإيمان
٤٣	عبدالله بن مسعود	رآه فوقه ببطحاء مكة
١٤٤	عائشة رضي الله عنها	رفع القلم عن ثلاثة
٧٧	جماعة من الصحابة	زينوا القرآن بأصواتكم
٢٠٣	جماعة من الصحابة	ستفترق هذه الأمة على
١٢٧	ابن عمر، أبو سعيد	سيدا شباب أهل الجنة
٢٠٣، ١٩٢، ٤٧	العرباض بن سارية	عليكم بستي وسنة الخلفاء
٧٧	أبو موسى	كان ﷺ يعجبه الصوت الحسن
١٣٧	عمرو بن العاص	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهما

- كل ابن آدم خطاء
أنس بن مالك ١٨٢
- كنا نخير بين الناس
عبدالله بن عمر ١١٦
- لأستغفرن لك ما لم أنه عنك
المسيب بن حزن ١٧٨
- لأعطين الراية غداً رجلاً
سعد بن أبي وقاص ١٢١
- لعله تنفعه شفاعتي
أبو سعيد الخدري ١٧٩
- لو أتيتني بقراب الأرض خطايا
جماعة من الصحابة ١٨٤
- لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله
عمر بن الخطاب ١٤٧
- ما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
عبدالله بن مسعود ١١٧
- ما زالوا مرتدين على أعقابهم.. فإنك لا تدري ماذا
أحدثوا بعدك ١٦٥
- ما زلنا أعة منذ أسلم عمر
عبدالله بن مسعود ١١٧
- مثل ما بعثني الله به من الهدى
أبو موسى الأشعري ١٩٩
- مجوس هذه الأمة
عبدالله بن عمر ١٤٣
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
عائشة رضي الله عنها ٥١
- من رأى منكم منكراً
أبو سعيد الخدري ١٩٠
- من سن في الإسلام سنة حسنة
المنذر بن جرير عن أبيه ٥٥
- من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
عائشة رضي الله عنها ٥٢
- من يحفر هذا البئر وله الجنة
عثمان بن عفان ١١٩
- من يستغفرني فأغفر له
أبو هريرة ٩٧
- مناظرة ابن عباس للخوارج
عبدالله بن عباس ١٨٣
- المؤمن القوي خير وأحب
أبو هريرة ١٩١
- نضر الله امراً أسمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه
زيد بن ثابت ١٩٨

٩٧	أبو هريرة	هل من سائل فأعطيه
١٤٨، ١٥٠، ١٥٥	أبو هريرة	وإن أصابك شيء فلا تقل: لو
٤٧	العرباض بن سارية	وكل بدعة ضلالة
٩٤	عبدالله بن عمر	وكلتا يديه يمين
١٩٠	عبدالله بن مسعود	وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل
١٠٦	أبو هريرة	ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم
١١٩	عبدالله بن عمر	وهذه لعثمان
١١٠	أبو سعيد الخدري	لا تسبوا أصحابي ﷺ والذي نفسي بيده
٦١	عبدالله بن عمر	لا يجمع الله أمتي على ضلالة
١٧٨	المسيب بن حزن	يا عم قل: لا إله إلا الله
٩٤، ٩٢	أبو هريرة	يد الله ملأى سحاء الليل والنهار
١٠٣	أبو هريرة	يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه
٦٠	المقدام بن معد يكرب	يوشك رجل شبعان

٣- فهرس الآثار وأقوال العلماء

النص	القائل	الصفحة
أجمع المسلمون	الإمام الشافعي	١٩٤
إذا خالف قولِي قول رسول الله ﷺ فخذوا	الإمام الشافعي	١٩٤، ٦٢
إذا صح الحديث فهو مذهبي	الإمام الشافعي	١٩٤
إن جاء الحديث عن رسول الله	الإمام أبو حنيفة	٦٣
إن لم تكن الفرقة الناجية أصحاب الحديث	الإمام أحمد	٢٠١
أوكلما جاءنا رجل	الإمام مالك	١٩٤
الحمد لله جعل في كل زمان فترة من الرسل	الإمام أحمد	٤٤
الخلاف شر	الإمام ابن مسعود	١٩٣
عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته	الإمام أحمد	١٩٥، ٦٣
القدر سر الله	أنس بن مالك	١٣٥
القياس عند الضرورة	الإمام أحمد	٦٢
كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر	الإمام مالك	١٩٤، ٦٣

٤- فهرس الأشعار

الشعر	القاتل	الصفحة
لولا الملامة أو حذار مسبة * لرأيتني سمحاً بذاك مبينا	أبو طالب	١٧٨، ١٨٨
هل كان قبل العرش أو هو بعده * قولان عند أبي العلا الهمداني	ابن القيم	١٢٨
والحق أن العرش قبل لأنه * قبل الكتابة كان ذا أركان	ابن القيم	١٢٨
والناس مختلفون في القلم الذي * كُتب القضاء به من الديان	ابن القيم	١٢٨
وكتابة القلم الشريف تعقبت * إيجاده من غير فصل زمان	ابن القيم	١٢٨
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا	أبو طالب	١٧٨، ١٨٧

٥- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
المقدمات التمهيدية	٧
المقدمة الأولى: ترجمة صاحب المنظومة الحاثية أبي بكر بن أبي داود السجستاني	٩
المقدمة الثانية: ترجمة شارح الحاثية الشيخ صالح بن فوزان الفوزان	١٩
المقدمة الثالثة: التعريف بالمنظومة الحاثية	٢٧
المقدمة الرابعة: متن المنظومة الحاثية	٣٩
مقدمة الشارح	٤٣
نبذة تاريخية عن ظهور الفرق	٤٣
ردود أهل السنة على المبتدعة	٤٤
الكلام على المنظومة، وسبب تسميتها بالحاثية	٤٥
تعريف بصاحب المنظومة	٤٥
الحث على التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع	٤٧
معنى الهدى	٥٠
أقسام الهداية	٥٠
تعريف البدعة	٥٢
الرد على من قسم البدعة إلى محمودة ومذمومة	٥٣
أسباب الفلاح	٥٦

- ٥٨ تعريف السنة لغة وشرعاً
- ٥٨ وجوب الأخذ بما صحح من السنة في العقائد والعبادات
- ٦٠ الرد على من يقول: إن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد
- ٦١ الأصل الثالث: الإجماع
- ٦١ الرابع: القياس
- ٦٢ كلام الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ الآراء المخالفة
- ٦٤ عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالى حقيقة
- ٦٥ رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام على صورته الملكية
- ٦٧ الكلام يُنسب لمن قاله مبتدئاً لا على من قاله مبلغاً
- ٦٧ مذهب الأشاعرة في كلام الله عز وجل
- ٦٧ قول محمد بن إبراهيم في كيفية نزول القرآن الكريم
- ٧٠ مذهب الجهمية في القرآن الكريم
- ٧٠ الرد على من يقول: إن مسألة القول بخلق القرآن لا تحتاج لهذا الاهتمام
- ٧٣ مذهب الواقفة في القرآن الكريم
- ٧٥ الرد على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، بدون تفصيل
- ٧٧ مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة اللفظ
- ٧٨ مسألة الرؤية، وأقوال الناس فيها
- ٨٠ الأدلة من القرآن والسنة على إثبات الرؤية
- ٨٠ تعدي النظر به (في) و (إلى) وفائدة ذلك
- ٨٣ وجه تسمية سورة الإخلاص بذلك
- ٨٤ الرد على من جعل لله تعالى صاحبة والولد
- ٨٨ إنكار الجهمية لرؤية الله جل وعلا

- ٩٠ إثبات الـدين لله تعالى، والرد على الـجهمية والممثلة
- ٩٦ إثبات نزول الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا
- ٩٧ الرد على من يقول: ينزل أمره أو تنزل ملائكته، ونحو ذلك
- ٩٩ معنى اسم الله تعالى: «الـجبار»
- ١٠٦ الآثار المسلكية لاعتقاد نزول الرب تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا
- ١٠٨ بحث في فضل الصحابة - رضي الله عنهم - وحقوقهم
- ١١٠ مراتب الصحابة - رضي الله عنهم - في الفضل
- ١١٢ سبب إيراد المصنفين لمسألة الصحابة في كتب العقائد
- ١١٣ المعادون للصحابة ثلاث طوائف: الـرافضة، والخوارج، والنواصب
- ١١٤ بيان فضل الخلفاء الأربعة
- ١٢٢ بيان فضائل باقي العشرة المبشرين بالجنة
- ١٢٤ التحذير من التنقص من الصحابة رضي الله عنهم
- ١٢٧ فضل أولاد النبي ﷺ، وعائشة ومعاوية رضي الله عنهما
- ١٢٩ فضل المهاجرين والأنصار
- ١٣٠ فضل التابعين، وبيان المراد بالتابعي
- ١٣٢ فضل الأئمة الأربعة ومن في طبقته
- ١٣٣ الإيمان بالقدر
- ١٣٥ معنى الإيمان بالقدر
- ١٣٥ حكم الإيمان بالقدر
- ١٣٦ مراتب الإيمان بالقدر
- ١٤١ المخالفون في القدر
- ١٤١ الكلام على مذهب القدرية

- ١٤٤ مذهب أهل السنة والجماعة في القدر
- ١٤٨ فائدة الإيمان بالقدر
- ١٥١ الأمور الخطيرة التي تترتب على القول بمذهب الجبرية والقدرية
- ١٥٣ حكم مَنْ ينفي القدر
- ١٥٤ مسألة احتجاج آدم وموسى عليهما السلام
- ١٥٧ الإيمان باليوم الآخر، وما يكون بعد الموت
- ١٥٨ حكم من أنكر البعث
- ١٦٠ الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب
- ١٦٢ وجوب الإيمان بسؤال الملكين «منكر ونكير» في القبر
- ١٦٥ الإيمان بالحوض
- ١٦٦ الإيمان بالميزان
- ١٦٩ خروج عصاة الموحدين من النار، والأقوال المخالفة لأهل السنة والجماعة
- ١٧٢ مسألة الشفاعة ومعناها
- ١٧٣ شروط الشفاعة
- ١٧٥ أنواع شفاعة النبي ﷺ
- ١٧٩ الشفاعات العامة للملائكة والأنبياء والمؤمنين
- ١٨٠ مسألة تكفير أصحاب الكبائر التي دون الشرك
- ١٨٣ مذهب الخوارج في مرتكبي الكبيرة
- ١٨٥ مذهب المرجئة
- ١٩٢ نصيحة المؤلف بنهذ الآراء والأقوال المخالفة لقول الرسول ﷺ
- ١٩٧ التحذير من التلاعب بالدين والظعن في أهل السنة
- ١٩٨ فضل من سمع مقالة فحفظها فبلغها

- ١٩٩ أصناف الناس بالنسبة لما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم
- ٢٠١ شرف أصحاب الحديث
- ٢٠٢ خاتمة المنظومة في الوصية بهذا الاعتقاد
- ٢٠٤ خاتمة الشرح المبارك
- ٢٠٥ الفهارس العامة
- ٢٠٧ فهرس الآيات القرآنية
- ٢٢١ فهرس الأحاديث النبوية
- ٢٢٥ فهرس الآثار وأقوال العلماء
- ٢٢٦ فهرس الأشعار
- ٢٢٧ فهرس الموضوعات